الفهم العميق

في الدعـوة إلى الله جل جلاله

من أقوال

فضيلة الشيخ الأستاذ أحمد الأنصاري

الأستاذ بالجامعة الإسلامية بهاولبور بباكستان

ومن علماء الدعوة والتبليغ

بقلم

محمد على محمد إمام

٩ سلسلة المنتقى من كلام أهل التبليغ والدعوة

دار الكتب والوثائق القومية

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب المصرية

إدارة الشئون الفنية

كتاب: الفهم العميق في الدعوة والتبيلغ

إعداد / محمد على محمد إمام

الطبعة الأولي ٢٠١٣

عدد الصفحات (١٣٠صفحة)

المقاس (١٨ × ٢٤ سم)

رقم الإيداع : (٩٢٣٧)

تاريخ الإيداع : ٢٢/ ٤ / ٢٠١٣

الترقيم الدولي : ٦-٠٦٢٤-٩٠-٩٧٧-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

إهـــداء

- إلى مشايخنا وعلمائنا جزاهم الله عنا كل خير.
- إلى كل الخارجين في سبيل الله على وجه المعمورة.
- إلى كل الدعاة إلى الله من خطباء ووعاظ.
- إلى المدرسين وطلاب العلم العاملين.
- إلى الآباء والأمهات المهتمين بإحياء الدين ونشره في العالم كله.
- إلى الشباب المسلم الحريص على نشر دينه.
- إلى من يحب الله ورسوله.
- إلى كل مسلم يهمه أمر دينه ودنياه وآخرته.
- إلى كل مؤمن بالله واليوم الآخر.
- إلى كل طالبى الحق.

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي لا ينبغي الحمدُ إلا له ، وأسأله سبحانه وتعالي أن يُصلي ويسلم علي سيدنا محمد وآله وبعد : إخواني وأحبابي في الله ! يُسعدني اليوم أن أقدم لكل الدعاة عامة ، ولأهل التبليغ والدعوة خاصة الجزء التاسع من سلسلة المنتقى من كلام أهل التبليغ والدعوة والذي سميته (الفهم العميق في الدعوة إلى الله) من أقوال فضيلة الشيخ أحمد الأنصاري الأستاذ بالجامعة الإسلامية بهاولبور بباكستان ومن علماء الدعوة والتبليغ .

وهو من العلماء الأجلاء الذين جابوا بلاد العالم شرقا وغربا في الدعوة إلي الله، وقد التقينا به في رايوند بباكستان في اجتماع ١٩٨٧، وفي اجتماع بنجلاديش في نفس العام، وأكرمنا الله بالخروج في موطنه مدينة بهاولبور لمدة عشرين يوما، وكنا كل أسبوع نجتمع في مركز الدعوة بتلك المدينة وكان يبين أهمية الدعوة والنفر في سبيل الله .

وخرجنا بمسجد الجامعة لمدة ثلاثة أيام، فمن فضل الله علينا أن زارنا الشيخ في المسجد وجلس معنا، وتكلم معنا في أهمية الدعوة والمسئولية تجاه الدين وواجب المسلم، وكل ذلك سجلناه وسوف تقرأه بإذن الله تعالي.

يجلس أمامه الناس، وكل واحد من الجالسين يدور في رأسه سؤال عن هذه الدعوة المباركة، وبدون أن يتوجه إليه سؤال واحد يقوم بالإجابة علي أسئلة الحاضرين، فيقوم الناس من أمامه وهم مقتنعون بهذا العمل الطيب المبارك.. لأنه لا يترك شاردة ولا واردة إلا رد عنها بحجة وبرهان، من كتاب الله وسنة نبيه، وحياة الصحابة الكرام.

نسأل الله أن ينفعنا وإياكم بكل كلمة نقلناها عنه، وعن مشايخنا وعلماءنا، وأن يقيمنا علي هذه الدعوة المباركة.

أخوكم/محمد علي محمد إمام

جوال/ ٠١٠٦٤١٥٨٢٤٦

ت منزل: ٠٥٠٦٨٢٤٥٣٦

الدعوة على منهـاج النبـوة

كان أوائل هذه الأمة معروفين بالجهد، للدين حتى تخلل هذا الجهد في شرايينهم ودمائهم، حتى أصبحت التضحية بالمال والنفس والوظيفة والأهل والمنصب شيئاً محبوباً لديهم وسهلاً عليهم ، وأصبح انقطاعهم عن الجهد لإقامة الدين ولو للحظة بسيطة، شيئاً لا يمكن تحمله، ولم تكن دعوتهم فقط بالكتابة والخطابة، ولكن بالتضحيات المتواصلة ترعرعت ونشأت هذه الدعوة من جهدها.

والتضحية هي طريق إبراهيم عليه السلام لحصول معية الخالق لأداء الدعوة المحمدية للإسلام إلى المخلوق بجهد متواصل، وبهذا الجهد خضع نظام الكائنات تحت أقدامهم، وكان خالق الكائنات ينصرهم ويؤيدهم، فالدعوة إلى الله عز وجل هي جوهر امتيازي لهذه الأمة يضمن لها عزها ورفعتها، شريطة أن لا تكون بالطرق الموجودة المخالفة، بل على منهاج النبوة وأسوة الصحابة الكرام رضي الله عنهم، يعني أن تكون الدعوة بدون مقابل، وعلى صورة النفر الجماعي، كما قام بها أصحاب الدعوة في القرن الأول الهجري .

إلى أصحاب الفكر:

ثبت في التاريخ أنّ أول عمل انتقل إلى الأمة المسلمة من رسولها الكريم صلوات الله عليه وسلامه، علماً وعملاً هو الجهد للدين، والذي هو بالقياس إلى باقي الأعمال يعتبر الأساس.

فإذا قام المسلمون في أي زمان ومكان على أعمال الدين بكل فروعه، ولكن مع الغفلة عن منهاج وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام، يكونوا ضالين، لأن من يرى الدين الذي قام عليه الرسول ﷺ أي الدعوة، واستمر على القيام بباقي أعمال الدين، فهو ساقط من عين الله، حتى إن دعاؤه لا يستجاب لحديث الرسول ﷺ إن الله يقول لكم: مروا بالمعروف وانهو عن المنكر، قبل أن تدعوني فلا أجيب لكم، وتسألوني فلا أعطيكم، وتستنصروني فلا أنصركم.

فالفريضة التي أعطيها النبي ﷺ وحولها للأمة قبل فريضة الصلاة والصوم والحج والزكاة، والتي بتركها لا يقبل دعاء المتقين والصلحاء كم تكون أهميتها؟

وحيث أن الصلاة التي على غير الطريق النبوي باطلة، فكذلك إقامة الدين على غير طريق النبي ﷺ، لذا ينبغي المحافظة على الطراز النبوي في إقامة الدين والدعوة إليه.

فالسعي لإقامة الدين، والدعوة النبوية، على المنهج الشائع في العالم، كالذي يبني عمارة على أساس غير قوي، وهذه هي الخسارة الأساسية التي بسببها تفشل الحركات الدينية بسرعة، وتنشأ فيها الخلافات، وتكون بسببها محرومة من النصرة الإلهية.

يتضح من رسالة عمر بن الخطاب ﷺ بأن القيام بالدعوة الاجتماعية هي سر قوة المسلمين (لا تغتروا بكثرة الفرس وسلاحهم ولا تخشوهم واستعينوا بالله وارجوه وأرسل ممن معك وفداً إلى الفرس من ذوي الرأي، يدعوهم إلى الإسلام، فإن قبلوا فاقبلوا واعرضوا عنهم ، وإلا فاستعينوا بالله وقاتلوهم [١].

في سفر الجماعات للدعوة والتبليغ في العالم الإسلامي، جاءت هناك ضرورة لعرض طريقة أعمال الدعوة من جولات وخروج، ودعوة عمومية وخصوصية وغيرها، وذلك على ضوء الكتاب والسنة.

لأنه لا بد من شيئين للعمل في هذه البلاد:

١) الدعوة بالأخلاق والإكرام.

٢) الدعوة إلى الله على سنة ومنهاج الرسول ﷺ ، وتحتاج إلى مطالعة كتب السيرة، ومن هذه المراجع كتاب البداية والنهاية لابن كثير، وكتاب رحمة العالمين للقاضي سليمان ، وذلك لأنهما يحتويان على بيان تفصيلي، لكيفية الدعوة إلي الله.

فالدين الإسلامي دين عالمي يستطيع المسلم المميز المعروف بإسلامه من إقامته في العالم كما قام به إبراهيم الخليل وسيدنا محمد (عليهما الصلاة والسلام).

---

(١) تاريخ الطبري٤/٩٣.

فإقامة الدين من أهم الفرائض التي انتقلت نيابة عن الأنبياء عليهم السلام ، ووضعت على عاتق هذه الأمة وفي ذمتها ، وكان هذا العمل سعادة عظمى لهذه الأمة حيث أن الله جل جلاله ختم سلسلة النبوة ونقل جوهر الدعوة إلى هذه الأمة ، فالصحابة الكرام رضوان الله عليهم وهم من السابقين الأولين لهذه لأمة، لم يكن لهم مثيل في أداء وتقديم التضحيات للمحافظة على الدعوة إلى الله ، حتى تحصلوا معية الله ونصرته، وسخر لهم النظام السماوي والأرضي، وقاموا بالجهد وأخرجوا الناس من ظلمات الجور والظلم إلى نور الإسلام.

من جهة ثانية لنسمع هذه الأمة، وهي تعرض مطالبها علي كسري، في إيوانه إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل منا قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضي إلى موعود الله ، قال كفار فارس: وما موعود الله ؟ قال الجنة لمن مات والظفر لمن بقي.

إن إقامة الدين انتقلت إلينا بدعوة الأنبياء عليهم السلام والصحابة الكرام رضي الله عنهم لهذا علينا أن نضع حياتهم أمامنا ونقوم بهذا العمل وعلينا القيام بالبحث عن الطريقة التي أشاعوا بها الإسلام ونصروه بها.

على أي أساس قامت ؟

وما هي طريقتهم في الارتباط مع الإنسانية؟

وما هي طريقتهم في الحصول على معية الله ونصرته؟

وما هو نظام الجهد الذي قام به إبراهيم عليه السلام بدون المعدات حتى زلزل الله ﷻ عرش النمرود؟

وكذلك جعل الله موسى (عليه السلام) صاحب العصا والجبة منتصراً على فرعون صاحب القوة والحكومة ومجبوراً على التسليم به وإطاعته.

وفي يوم بدر كسرت جماعة الفقراء الجياع غرور أهل الشوكة والقوة! وكيف أن أصحاب رسول الله ﷺ مع قلة عددهم وفي مدة بسيطة من الزمن مسحوا من صفحة التاريخ قياصرة الروم وأكاسرة الفرس وأصحاب الحكومات الكبيرة والقوى العظيمة ولم يبقوا لهم أي أثر.

يتبين لنا مما تقدم أنه بأداء فريضة الدعوة على منهاج النبوة تكفل الله عز وجل بفلاح وفوز الدارين، وفي هذه المذاكرات فإن المقصد هو توضيح الدعوة على منهاج النبوة ليس إلا، حيث أن دعوتنا هذه خارجة عن الطرق والأساليب الحديثة في نشر الأفكار والمبادئ.

المرحلة الابتدائية في إقامة الدين:

إنه لشيء ظاهر أنه قبل البعثة النبوية على صاحبها والسلام لم يكن هناك وجود للإسلام ولا لأعمال الإسلام، ولم يكن هناك وجود للصلاة، ولم تكن ترى الحجاج إلا المشركين ولا أصحاب الإيمان والهجرة والمجاهدين ولم تكن هناك الخلافة الربانية

والحكومة الإلهية، ولم تكن هناك الجيوش والقوات، ولكن وبعد مدة وجيزة ظهر أصحاب العبادة والخلافة وصحاب الأخلاق والأعمال وهذا الشيء ليس بحاجة إلى برهان ودليل.

إن في وجود وظهور جميع هذه الطبقات لم يكن لقوة حاكم أو لثروة غني وثري، ولكن هذا كله كان ثمرةً لجهد الدعوة، هذا هو أول شيء انتقل من الرسول ﷺ إلى هذه الأمة وبعدما أعطانا ﷺ الأعمال والعبادات وعلمنا قبل كل شيء أعمال الدعوة، فبقيام نظام الدعوة بدأت الفتوحات الإلهية وفتحت أبواب البركات السماوية والأرضية وتزينت الأقوام بالصفات والأعمال، ولكن الدعوة بأي طريقة كانت لا تكون سبباً للفوز والفلاح، بل إن الدعوة التي تكون على طريقة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هي التي تكون سبباً لحصول معية الله عز وجل وعندما تكون المعية الإلهية ففي أي صورة وفي أي حالة يكون الفلاح والفوز!.

لهذا وقبل كل شيء كان لزوماً على كل المجتهدين، تعلم طريقة الدعوة، وتبني الصفات التي بسببها يتحصلوا معية الله تعالى .

ففي هذا الكتاب عرض للطريقة النبوية لأعمال الدعوة وإقامة الدين، وذلك مدعوماً بالسند من حياة الرسول ﷺ وحياة الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

نسأل الله تعالى أن يتقبل أمة المسلمين لخدمة الإسلام وإقامة الدين، فإنه يرزق الأمة منهاج نبينا محمد ﷺ وأصحابه في الدعوة إلى الدين بدلاً من الأساليب والطرق الشائعة والمخالفة.

تقديم التضحيات لنشر الإسلام وإشاعته :

قال تعالي: ﴿ يا أَيّهَا الْمُدّثّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبّكَ فَكَبّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهّر * وَالرّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلاَ تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبّكَ فَاصْبِر ﴾ (١).

يخاطب الله ﷻ في هذه السورة نبيه ﷺ ، يا صاحب الدثار قم بالدعوة وبين عظمة وكبرياء ربك حتى لا يبقى في نظرك في مقابلته شيء، واختر مع ذلك الطهارة واهجر غير الله، أي اترك: كل شيء يكون مانعاً لك عن التعلق بالله ولا ترغب أبداً أجراً وإحساناً على الدعوة، لأنك ستعطي وتثاب بكثرة وبالأجر الأوفى، وكذلك تحمل كل ما يصيبك لرضاء الله.

هذه الآيات تشتمل على أصول الدعوة حيث أن أصحاب الفرش لا يستطيعون القيام بهذا العمل، فأولاً ترك الفرش الناعمة الدافئة وعندها يكون القيام بالدعوة، وابتداء الدعوة يكون بتكبير الرب ﷻ يعني إذا لم يكن كبرياء الله ﷻ في القلب نمو هذا العالم وكل ما فيه من أشياء خارج القلب بمقابلة عظمة الله فأي دعوة يستطيع الداعي أن يؤدي.

---

١) سورة المدثر – الآيات من ١ : ٧.

فالداعي يستمر بتقديم التضحيات حتى يثبت أنه يمكن تضحية كل العالم وما فيه ولكن لا يمكن أن يضحي بمعية الله ﷻ ونصرته ولو لفترة بسيطة، لأن حصول معية الله ﷻ بالنسبة للداعي هي أعظم معية يتحصلها، وكذلك على الداعي تصفية جسمه وروحه من جميع الأوساخ والأمراض الجسمية والروحية والتمرين على تزكية نفسه بالمجاهدة.

فهذه الدعوة بمثابة جوهرة ثمينة جداً، والله ﷻ لا يعطي هذه الجوهرة لأي إنسان بدون الابتلاء والاختيار، لأنه لحصوله رضاء الله ﷻ والتأييدات الربانية لا بد من العبور على أودية الابتلاء واجتيازها والتسلح والتجمل بالصبر فلا بد لإقامة الدين من التحمل والصبر الذي تحمله النبي ﷺ وأصحابه، والحالات التي مرت بهم حيث أنها هي طريق النجاح لصحاب الدعوة فالجوع والعطش والتضحية بالنوم والراحة والبلد والعزة والجاه مع الإيثار والصبر كل ذلك وغيره خير شاهد على تضحياته من أجل الدين ﷺ .

تحمل الرسولﷺ للأذى:

لقد وجهت لرسول الله ﷺ الأقوال الفاحشة، وفوق ذلك كان يواجه الشتائم والاستهزاء والسخرية بالصبر والتحمل وكان القرآن ينزل عليه يحضه على الصبر ، فقال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلا ﴾[1]، وقال تعالى:﴿ وَاصْبِرْ عَلَىَ مَا يَقُولُونَ

١) سورة المعارج – الآية ٥ .

وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً ﴾ (١)، وقال تعالى :﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ الْعَزْمِ مِنَ الرّسُلِ وَلاَ تَسْتَعْجِل لّهُمْ كَأَنّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوَاْ إِلاّ سَاعَةً مّن نّهَارٍ بَلاَغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٢)، وقال تعالي: ﴿ إِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴾(٣)

وفي الحديث عن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " لقد أوذيت في الله وما يؤذي أحد وأخفت في الله وما يخاف أحد ولقد أتت علي ثلاثون من بين يوم وليلة ومالي ولبلال إلا ما يوارى إبط بلال (٤) .

فلأجل الدعوة والتبليغ ترك رسول الله ﷺ النوم والراحة واستبدل الأمن والسكون بالاضطراب والقلق، وتحمل الفقر والفاقة ونحن نذكر هذه القصص حتى يصبح عندنا عادة تحمل الشدائد والصعاب لنشر الدين.

وعن عروة ﷺ قال : قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابت من رسول الله ﷺ إلى أن ذكره، قال فبيناهم في ذلك إذ طلع رسول الله ﷺ فأقبل بمشي حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفاً بالبيت فغمزوه ببعض القول فعرفت ذلك في وجهه فمضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرفتها في وجهه فمضى

---

١) سورة المزمل – الآية ١٠.

(٢) سورة الأحقاف – الآية ٣٥ .

(٣) سورة الفرقان _ الآية٤١.

(٤) البداية والنهاية ٣/٤٧.

فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها فقال: " أتسمعون يا معشر قريش أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح"(١) .

ومرة تكلم كفار مكة مع النبي ﷺ فقالوا: إن كنت حقاً تزعم أنك رسول الله فسير عنا هذه الجبال، وابعث لنا من مات من آبائنا، وخذ لنفسك ملكاً يكون معك أو اتخذ لك جنات حتى نعرف قيمتك ويكون لك الشوكة والغلبة أو أسقط السماء علينا كما زعمت أو يكون لك سلّم فترقى في السماء. وكل ذلك بقصد إيذاءه وهو في ذلك يقول لهم إنني لم أرسل بهذا وليس لي أن أفعل ما تقولون حتى تؤمنوا لأن هدايتكم ليست بيدي، ولكن وظيفتي هي تبليغ أحكام الله جل جلاله فكان جواب الكفار أنه لا يمكن أن نسمح لك ولا نأذن لك بهذه الوظيفة ونشر دينك بيننا ولو أدى ذلك لدفع حياتنا، ولكن مع كل هذه التحديات والتهديدات فقد استمر ﷺ بالدعوة والتبليغ وكان يقول لهم" فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تعرضوا أصبر حتى يحكم الله بيني وبينكم.

فلا بأس من تحمل الأذى بمختلف أنواعه من أجل أن يستمر الجهد لتوجيه الناس من عبادة المخلوق إلى عبادة الخالق، ولو أدى ذلك إلى تضحية النفس في سبيل الدعوة وتبليغ الرسالة.

فالاستقامة والثبات بمواجهة هذه المشقات هي طريقة ﷺ التي يجدر بكل مسلم

---

(١) المرجع السابق ٦/٣.

أن يسلكها في أي زمان ومكان.

لكننا في هذا الوقت لا نتحمل سماع كلمة واحدة لأجل الدين وتبليغه، ولا نستطيع الصبر على الأذى فكيف يمكننا التضحية بالروح والنفس لتبليغ الدين وإعلاء كلمة الله عز وجل.

تحمل المشقات والضرب في سبيل الدعوة لإحياء الدين:

لقد كانت علامات الأذى والضرب تبدو واضحة على جسم الرسول ﷺ مخبرة عما تحمله في سبيل هذا الدين، حيث يصعب الإحاطة بها، ولكن على سبيل المثال لا الحصر نذكر بعض القصص ، لنعلم كم تحمل حبيب الله وخير خلقه، من أجل هذا العمل المبارك وكيف نحن جلسنا عن هذا العمل ولم نبالي بتركه، عن عروة بن الزبير قال: سألت ابن العاص فقلت أخبرني بأشد ما صنعه المشركون برسول الله ﷺ قال: بينما النبي عليه الصلاة والسلام يصلي في حجر الكعبة، إذ اقبل عليه عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه على عنقه فخنقه خنقاً شديداً فأقبل ابو بكر رضي الله عنه فدفعه عن النبي ﷺ وقال : أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ؟!!).

وفي بعض الأحيان كانوا يضعون الشوك في طريقه في ظلمة الليل حتى يدموا قدميه، وعلى باب بيته يضعون الأوساخ كي ينالوا من صحته وكان يقول لهم بئس

الجوار هذا يا معشر قريش(١)

ومرة كان ﷺ يصلي في الكعبة، وبعض رجالات قريش جلوس في الحجر، فقال أبو جهل: ذبح اليوم زور عند بني فلان فأيكم يأتينا بفرثها منكفئة عليه، فانطلق أشقاهم عقبة بن أبي معيط فأتى به فألقاه على كتفه وهو سجد ، فلما فعلوا ذلك تضاحكوا وأخذوا يميلون على بعضهم، فيقول ابن مسعود رضي الله عنه: حدث ذلك وأنا قائم لا أستطيع أن أتكلم وليس عندي منعة تمنعني، حتى أقبلت السيدة فاطمة رضي الله عنها فألقت ذلك عن عائشة واستقبلت قريشاً تسبهم.

فإذا تفكرنا بعمق لهذا العمل المبارك كم من الأذى والمشقات أصابت جسمه الشريف صلوات الله وسلامه عليه وتحملها من أجل الدعوة لهذا الدين الحنيف حيث أعطى هذه الأمة درساً عملياً في الدعوة والتبليغ حتى يبقى نموذجاً حياً، للأجيال القادمة، لكن هذه الأمة لم تقدر هذا العمل، ولم تحسب له حساب، فوقعت في الذلة ولم يقدرها أحد.

فهيا بنا نقوم بهذا العمل على نهج الرسول ﷺ حتى نتحصل على عزة الدنيا ونعيم الآخرة.

طريقة العمل:

وحتى يترقى فينا الإسلام وفي العالم، علينا أن نتحمل الشدائد والمصائب، ونصبر

(١) كتاب رحمة العالمين، ص٤٢.

على آذى الجسم، ولو اقتضى ذلك أن نقدم أرواحنا فتقدمها غير مبالين من أجل إحياء الدين وإشاعته في أنحاء المعمورة. فاعتياد التضحية براحة الجسم، وتعريف المسلم بأن تحمل المصائب والمشقات والظلم والمصاعب بجميع أنواعها لا يُذكر بالنسبة لما أعد الله للمؤمنين من الأجر في الآخرة. وعلينا كذلك ترك التنعم والترف والنوم وتعويد الجسم على الصبر وتحمل الأذى والشدائد لأجل الدين، وكذلك تعلم الإيثار والتضحيات بأنفسنا وإقامة الآخرين، واستنفارهم على هذا العمل، وإذا كان هناك من يريد تبليغ الدين وإشاعته وهو جالس على الفراش فهذه ليست طريقة النبي عليه الصلاة والسلام وإن ذلك ابعد ما يكون عن النجاح وبلوغ المرام.

عمل الصحابة ﷺ: الدعوة الخصوصية:

علاوة على ما تعلمه الصحابة ﷺ من الاستقامة والصبر والتحمل من الرسول ﷺ الكريم صلوات الله وسلامه عليه، فقد تعلموا أيضاً كيف يكون عمل الدعوة وظيفة لا يجوز التهاون فيها، وأنها باقية في إتباع النبي ﷺ حتى لا تفهم الأجيال القادمة أن الدعوة مقصورة على الأنبياء وحدهم وأنه إذا انتقل النبي إلى الرفيق الأعلى فهذا العمل ليس ضروري لنا، لكن الرسول ﷺ من البداية جعل الأمة شريكة له في عمله وجعلهم دعاة إلى أقوام العالم، فهم كذلك قد أخذوا في تبليغ هذا الدين حصة وافية، واستمروا بالقيام بهذا العمل بالصبر والاستقامة على الرغم من الشدائد والمشقات التي اعترضتهم، فقد كتب صاحب كتاب البداية ، قال محمد بن إسحق: فلما أسلم أبو بكر وأظهر إسلامه دعا إلى الله ﷻ، وكان أبو بكر ﷺ مألوفاً لقومه محباً سهلاً، وكان

أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بما كان فيها من خير وشر، وكان رجلاً تاجراً ذا خلق معروف وكان رجال قومه يأتونه لغير واحد من الأمر، لعلمه وتجارته وحسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه، فأسلم على يديه الزبير بن العوام وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله،) إلى أن قال: فلما أسلم أبو بكر وطلحة أهدهما نوفل بن خويلد العدوية وكان يُدعى أسد قريش فشدهما في حبل واحد ولم يمنعهما بنو تيم فذلك سمي أبو بكر وطلحة القرينين وقال النبي ﷺ" اللهم اكفنا شر ابن العدوية" رواه البيهقي(١).

الفائدة:

١) هكذا كان فكر المسلمين في أول مراحل الدعوة فبعد الدخول في الإسلام عرفوا أن تبليغ الدين أهم عندهم من التجارات والمشاغل المختلفة، فهم عندما قالوا لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله، قاموا منذ البداية ووضعوا نصب أعينهم إنقاذ الملايين من البشر إلى طريق النجاة وربطوا تعلق هذه النفوس بمالك الملك، ولكن من المحزن في هذا الزمان أن من قالوا هذه الكلمة آلاف المرات. ومن هم مشغولين في الصلوات والعبادات لا يقومون ولو حتى بجهد بسيط لنشر دين الله لهذا علينا الاقتداء بمسلمي العهد الأول في تضحيتهم للدين كي نجعل في حياتنا الحركة والتنقل للدين كما كانوا وعلى منهاجهم.

٢) هذا وقد كتب صاحب البداية والنهاية في بيان حماس وهمة أبي ذر في الدعوة إلى الله ... فسمع من قوله فأسلم مكانه. فقال له النبي ﷺ : " ارجع إلى قومك

(١) البداية والنهاية ٣/ ٣٣٩.

فأخبرهم حتى يأتيك من أمري". فقال: والذي بعثك بالحق لأصرخن بها بين ظهر أنهم فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته اشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ثم قاموا فضربوه حتى أضجعوه فأتى العباس فأكب عليه فقال : ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار، وأنه طريق تجارتكم إلى الشام فأنقذه منهم ثم عاد من الغد بمثلها فضربوه وثاروا إليه فأكب عليه العباس. (١)

الفائدة : من هذه الواقعات تبين لنا مدى استعدادهم للتحمل من أجل الدين منذ البداية، حيث لم يتحصل بعد على علم الدين ولا الصلاة ولم يكن عنده الفكر للمال والملك ولم يكن توجهه للحصول على المنصب أو أي شيء، بل تعلم الكلمة الطيبة لا إله إلا الله محمد رسول الله، وخرج داعياً، فمن أجل الدعوة وضع النفس والجسم في المجاهدة وبعدها رجع إلى بيته ليس للجلوس بل استمر في دعوة قومه وبدءوا يدخلون في الدين تباعاً حتى دخل كل قومه في الإسلام بعد دعوته لهم وبذل الجهد، وبالقرب منه كانت تسكن قبيلة اسلم وفيهم أيضاً أثرت دعوته وهم كذلك اسلموا، فعندما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة كانت القبيلتان قد أسلمتا، ومن هنا نفهم أن دعوة الإسلام ليست محتاجة لأهل الملك والمال كي تنتشر لكنها تريد منا لوجودها وانتشارها أن نقتدي بهؤلاء الرجال الذين قدموا التضحيات والجهد مخلصين لا يبتغون العاجلة. وهم كذلك بالرغم من البيئة المخالفة والعادات والأحوال المخالفة استمروا في تقديم الجهد والتضحيات يبتغون إرضاء الله تعالى، فأعطوا الأمة الإسلامية درساً إلى يوم

(١) البداية والنهاية ٣/ ٣٤.

القيامة ووجدوا أن دعوة الإسلام لا تقوم بقوة الحكومة وبكثرة الأموال والجيوش والعدة بل بواسطة المجاهدة والتضحية والتمسك بالطريق التي تعلموها من الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه.

الدعوة العمومية:

إنّ السابقين في هذه الأمة جعلوا الدعوة إلى الله مقصد حياتهم، بمن أول يوم رفوا فيه الإسلام وآمنوا به حتى أن موتهم وحياتهم كانت لأجل الدعوة، فقد كان الصديق ﷺ تاجراً ولكنه بعد الإيمان أصبح مشغولاً بدعوة الناس إلى الله ليلاً ونهاراً، وفي هذه الأثناء كان يلتقي بأنواع الناس ويتحمل منهم شتى أنواع المشقات والعناء والأذى، ومع كل هذا فهو لم يجلس عن هذا العمل ولا ليوم واحد فهو يتكلم إلى الناس واحداً واحداً، ويدعوهم إلى الإسلام، حتى إذا انقضت فترة من الزمن على الدعوة الانفرادية ودخل في الدين قرابة ثمانية وثلاثون رجلاً ألح أبو بكر رضي الله عنه على الرسولﷺ في الظهور بالدعوة، والجهر بها في المسجد الحرام وفي المجامع العامة ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام دعاه إلى الانتظار والتريث لقلة عدد المسلمين بحيث يمكنهم تحمل المشقات والعذاب في سبيل الجهر بالدعوة.

ومع زيادة الإلحاح والطلب المتوالي ظهر ميدان الدعوة العمومية، وقام الصديق لأكبر داعياً إلى الله تعالى.

يذكر لنا صاحب البداية والنهاية: قصة أبي بكر وما لاقاه من الكفار من الأذى حين طلب من النبي ﷺ إعلان الإسلام والدعوة إليه أمام قريش وهي قصة معلومة،

وبعد ذلك فقد كان أبو بكر صاحب حظ عظيم حيث أنه في ذلك اليوم في الصباح ضرب بالنعل وفي المساء حبيب الله وصفيه يقبله على الوجه الذي ضرب عليه فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ليس بي بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي وهذه أمي برة بولدها وأنت مبارك فادعها إلى الله وادع الله لها عسى الله أن يستنقذها بك من النار فدعا لها رسول اللهﷺ ودعاها إلى الله فأسلمت. وفي ذلك اليوم أسلم حمزة عم الرسولﷺ ورضي الله عنه، ودعا النبي ﷺ نتيجة لهذه التضحيات بالإسلام لأحد العمرين، عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام، فكانت الدعوة يوم الأربعاء وأسلم عمر بن الخطاب يوم الخميس وذلك ببركة تضحيات أخته وزوجها.

الفائدة:

أ) هذه القصة تبين في إحدى جوانبها نموذجاً من تضحيات ودعوة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وفي الطرف الآخر درس عملي للدعاة من الأجيال القادمة، ففي المجمع العمومي في حال أداء الدعوة لا ينبغي على القائمين بعمل الدعوة الاجتماع في مكان بل عليهم أن يتفرقوا في المجمع حتى إذا اقتضت الضرورة للكلام بعد الخطاب العام والتشكيل يكون في ذلك اليسر والسهولة.

ب) بعد تقديم التضحيات للدعوة، على الداعي أن لا يتحول فكره بل عليه أن يبقى مستمراً بفكر الهداية حتى لا يأتي الاختلاف والتفرق في الدعوة نتيجة لما أصابه من أذى ومشقات فهذا هو الفكر الحقيقي والصديق الأكبر حتى وهو في هذه الحال كان فكره إسلام أمة وهدايتها.

ج) الدعاء قبل أداء الدعوة سنة نبوية لأن الهداية بيد الله تعالى، لهذا قبل مخاطبة الإنسان ينبغي أولاً الدعاء أمام رب هذا الإنسان بالعجز والتذلل وطلب الهداية.

د) بعد التضحيات تظهر نتيجة الدعوة والدعاء فبتضحية الصديق الأكبر رضي الله عنه كان الأثران: أدخل الله في الإسلام حمزة وعمر رضي الله عنهما.

وسخروا أنفسهم وتفانوا لخدمة الإسلام وإقامة الدين، والمقصود اليوم كذلك هو العمل مع ملاحظة هذه الأمور المتقدمة، فقد يأتي أهل القوة والسلطان، ولكن ينبغي أولاً مجيء أهل التضحية والدعوة والدعاء، ومثل هذا القسم من الناس وهؤلاء لا يأتون إلا بالجهد المتواصل والمستمر.

فمما لا شك فيه أن أصحاب الحكومات والقوة خضعوا في خلافة عمر ﷺ لكن عمر بنفسه أولاً خضع أمام أهل الدعوة والتضحيات ولهذا نفهم أن الأصل في تكوين القوة والطاقة هو جهد الدعوة والتبليغ، الذي بسببه ينشأ الاستعداد للتضحية والدعوة والدعاء، وعندما يحب الله تعالى هذه التضحيات ويرضاها ويتقبلها فإما أن يهدي الله أهل الطاقة والقوة ويأت بقلوبهم إلى الدين وإما أن يهلكهم أو ينفيهم.

هـ) كل فرد من الصحابة الكرام ﷺ وبلا استثناء كان يقوم بالدعوة والتبليغ ويؤدي هذه الفريضة بالفكر والجدارة المتناهيتين وفي أثناء تأدية هذه الفريضة لم يكن يعيقهم أو يقف أمامهم المال والأولاد والوطن والتجارة والزراعة والقوم والقبيلة بل إن التضحية بكل عائق كان من صفاتهم حتى لا يأتي الفتور والضعف في دعوتهم وهذه قصة ضماد

بن ثعلبة الأزدي أسلم ورجع داعياً إلى قومه فبايعه رسول الله ﷺ فقال له وعلى قومه فقال وعلى قومي. فقد كان ضماد الأزدي سمع من سفهاء مكة أن محمداً مجنون وكان ضماد هذا يرقي من الرياح فجاء إلى مكة ليعالج النبي ﷺ ولما سمع بالدعوة ودعاه النبي ﷺ فأصبح بنفسه داعياً للإسلام فلنتفكر كيف أن إنساناً قبل قليل كان مخالفاً للإسلام وبعد أن وضح أمامه الحق لم يكتف فقط بقبوله ولم يقل أنا الآن دخلت في هذا الدين وإلى الآن لم أتعلم منه شيئاً وهذا عمل عظيم فكيف أتمكن من معرفته والدعوة إليه لكنه أخذ على عاتقه وبهمة عالية وإرادة جبارة أهمية الدعوة لهذا الدين، وتعلم من رسول الله ﷺ قليلاً ورجع إلى قبيلته داعياً.

نتعلم من هذه القصص كيف أن النبي ﷺ علم أصحابه ورباهم بعمل الدعوة وأقامهم عليه، فبقيامهم بالجهد وتقديم التضحيات لأجل الدعوة أصبحوا نواب الأنبياء وكان عمل الدعوة هو رأس مالهم الأصلي وسبب ارتقائهم لدرجات الكمال فكانوا أفضل الخلائق بعد الأنبياء فمن أول يوم كانوا يدخلون في الدين يبدءون العمل بالدعوة ويستمرون فيه إلى آخر يوم في حياتهم حتى إن فكرهم وهمتهم في أنفاسهم الأخيرة كان مصروفاً في هذا الشيء، كيف ينتشر الدين ويدخل كل الناس في طريق الهداية.

وفي الحقيقة إن عمل الدعوة هذا جامع لكل خير فبواسطة الدعوة وصل صوت الإسلام إلى الإنسانية وغلى العالم، وبتقديم التضحيات تتحصل معية الله تعالى ونصرته، وتتزكى النفس وترغب إلى خالقها وبعد ذلك يصبح تطبيق أوامر الله سهلاً، وليس ذلك فقط، بل ويصبح تضحية النفس لكل أمر من أوامر الله ولكل حكم من

أحكام الله مقصداً للحياة.

فالقيام بالتبليغ والدعوة بالطرق الرائجة والشائعة ليس صعب أو عسير، ولكن الصعوبة في التأسي والاقتداء بالأنبياء عليهم السلام، وطريق أصحاب رسول الله ﷺ في القيام بالدعوة، والدعوة إن لم تكن على طريق ومنهاج النبي ﷺ فهي تبقى جسماً بلا روح، ولهذا السبب فالدعوة بالطرق الشائعة في هذه الأيام لا تؤثر حتى على الدعاة أنفسهم فكيف يصل أثرها إلى الآخرين. فلنذكر جيداً إذا لم تأت التضحيات إلى عالم الوجود فالدعوة إلى الله تكون بغير المعية والنصرة الإلهية، وعندها لا يكون لها الأهمية في السماء ولا الأثر في الأرض.

لقد كان الشغف والشوق للدعوة والحماس لإعلاء الدين عند مسلمي القرن الأول من الأمور العجيبة، فقبل وقت يسير كان يكون الواحد منهم قد جند نفسه للقضاء على الإسلام وخرج يقول أريد أن أقتل محمداً وتنتهي دعوته، ولكن نجده بعد لحظات قد قبل الإسلام وأصبح داعياً للإسلام ورجع إلى قومه يدعو للإسلام ويعمل على نشره في كل مجلس حتى أعطى عمره وحياته لمقصد الدين وأعطى فكره وقوته وحتى روحه.

تلك هي شخصية الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه ففي البداية قام عمر فقال: يا رسول الله علام نخفي ديننا، ونحن على الحق ويظهرون دينهم وهم على الباطل. قال: يا عمر! إنا قليل قد رأيت ما لقينا. فقال عمر: والذي بعثك بالحق لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر إلا أظهرت فيه الإيمان ثم خرج فطاف بالبيت ثم مر بقريش وهي تنتظره فقال: أبو جهل بن هشام: يزعم فلان أنك صبوت. فقال: عمر اشهد أن لا

إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فوثب المشركون إليه ووثب على عتبه فبركي عليه وجعل يضربه وأدخل إصبعه في عينيه فجعل يصيح فتنحى الناس فقام عمر وجعل لا يدنو منه أحد إلا أخذ بشريف من دنا منه حتى أعجز الناس واتبع المجالس التي كان يجالس أهلها فيظهر الإيمان ثم انصرف إلى النبي وهو ظاهر عليهم. (١)

فهذه همة وحماس رجل مسلم جديد الإيمان وكيف كان اهتمامه وإقدامه على نشر الدعوة والدين، نسأل الله تعالى أن يرزقنا هذه الحماسة وهذا الشوق .

فالصحابة الكرام ﷺ، اجتاز كل منهم هذه العقبة في البداية وهذا جوهر صاحب الدعوة وطريقه.

فاجتياز هذه العقبة بواسطة التضحيات تحصل القوة الإيمانية، والإيمان الذي يتحصل بغير التضحيات يكون ضعيفاً جداً ويخالطه الخوف والرعب من غير الله ولا يمكن لهذا الإيمان أن يعلم صاحبه الاعتماد والتوكل على ذات الله وحده في أداء الدعوة فمرة تراه يتوجه إلى الملك ومرة إلى المال وتارة إلى القوم والعشيرة وأخرى إلى الحكومات والوزارات فيبقى دائماً متذبذب، وكلما رأى شيئاً توجه إليه.

وصاحب الدعوة يرجو ويأمل المدد والعون من غير الله كيف يتمكن من أن يوجه الناس إلى ذات الله تعالى؟ لهذا فالصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين تعلموا من الرسول ﷺ الدعوة إلى أثناء تعليمهم هذا كانوا يتحملون المصائب والشدائد التي

---

١) البداية والنهاية ٣/ ٣١.

تلاقيهم.

يقول صاحب البداية: قال ابن اسحق ثم أنهم عدوا على من أسلم واتبع الرسول ﷺ من أصحابه فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش برمضاء مكة إذا اشتد الحر كي يفتنوهم عن دينهم فمنهم من يفتتن من شدة البلاء الذي يصيبهم ومنهم من يصلب ويثبت ويعصمه الله منهم (١).

وبناء على ما تحمله الصحابة رضي الله عنهم من هذه المصائب جاء بعضهم إلى النبي ﷺ وطلب منه الدعاء بالخلاص ، فعن أبي عبد الله خَبَّاب بنِ الأَرتِّ ، قَالَ : شَكَوْنَا إِلَى رسولِ الله وَهُوَ متَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ في ظلِّ الكَعْبَةِ ، فقُلْنَا : أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا ألاَ تَدْعُو لَنا ؟ فَقَالَ : ((قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ في الأرضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا ، ثُمَّ يُؤْتَى بِالمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأسِهِ فَيُجْعَلُ نصفَينِ ، وَيُمْشَطُ بأمْشَاطِ الحَديدِ مَا دُونَ لَحْمِه وَعَظْمِهِ ، مَا يَصُدُّهُ ذلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ الله هَذَا الأَمْر حَتَّى يَسيرَ الرَّاكبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَموتَ لاَ يَخَافُ إلاَّ اللهَ والذِّئْب عَلَى غَنَمِهِ ، ولكنكم تَسْتَعجِلُونَ)) رواه البخاري . وفي رواية : ((وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً وَقَدْ لَقِينا مِنَ المشْرِكِينَ شدَّةً)) . (٢). أي أن هذا الوقت هو وقت التضحيات فاستمروا بتقديم التضحيات والجهد ونهاهم عن التعجل فعندما تكمل التضحيات يبدل الله سبحانه

(١) البداية والنهاية ٣/٥٧.

(٢) رياض الصالحين باب الصبر صـ ٦٥.

وتعالى نظام العالم كله .

الفائدة : لقد وضح الرسول ﷺ هذه الحقيقة وهي أن الله تعالى وقانونه الذي لا يغير، أنه بدون تقديم التضحيات والجهد فإن باب الفتوحات والبركات لا يفتح، فإذا كان المقصد هو إحياء الدين فعلينا أن نقدم التضحيات تلو التضحيات، فإذا تقبل الله هذه التضحيات فهو يبدل الحال بقدرته العظيمة، ولكن من طبع هذا الإنسان العجلة فهو يحب أن ينتهي بالسرعة وهو يريد كذلك استعمال هذه السرعة في قيام الدين والدعوة إلى ذات الله عز وجل مع أن الدعوة إلى الله لا تقوم إلا بالتضحيات المستمرة فالسبب الرئيسي في هذا الزمان لعدم نجاح الدعوة عند الحركات الدينية هو السرعة والعجلة فإنهم يجتهدون لمدة بسيطة وعندما لا يرون النتيجة في الاستجابة للدعوة فبدلاً من الازدياد في تقديم التضحيات لحصول معية الله تعالى، فإنهم يتوجهون لحصول معية الملك والمال والقوم والأكثرية، وتكون فكرتهم أنهم بعد حصول هذا يقوم الدين بالسرعة المطلوبة.

مع أن قيام الدين لا يكون أبدا إلا بالنصرة والمعية الإلهية، وطريق حصول هذه النصرة تقديم التضحيات المتواصلة وعديمة المثال – حتى يتقبلها الله عز وجل ويفصل جل جلاله بعدها أن هذه الجماعة هي حزبي وإنني معهم في مقابلة قوة وطاقة في العالم، ومن يأتي الآن لمقابلتهم ومخالفتهم فإني أهلكه بقدرتي العظيمة قال تعالى: ﴿

ولَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾(١) فالآن علينا أن نفكر في مسلمي الأمس كيف هم بعد قبول الإسلام مباشرة شدوا مآزرهم واشتغلوا في الجهد لخدمة وإشاعة هذا الدين وهكذا كانت النتيجة لهذه الجهود أن الإسلام في بدايته وفي عهده الأول ترقى وانتشر .

في هذه الأيام الذين يطالبون ويقولون بإقامة الدين يجتهدون يحاولون الحصول على الأشياء والوسائل المادية، ونشأ عندهم هذا التصور الخاطئ كما أن الكفر يحتاج للأسباب المادية، كذلك فالإسلام محتاج للأسباب المادية، مع العلم أن تاريخ الأنبياء عليهم السلام والقصص والواقعات التي حدثت في عهد الرسالات تعلمنا وتخبرنا أن الأسباب والوسائل دائماً كانت في يد المخالفين وأعداء الدين، وكان أهل الدعوة يبدأون بالجهد وكل اعتمادهم فقط على معية الله والنصرة الإلهية وكانت هذه المعية والنصرة هي نقطة الارتكاز في ارتقاء الدعوة، ومن ثم لتسيير هذا النظام، نظام الدعوة كان الأنبياء عليهم السلام يحرضون أتباعهم وأنصارهم على القيام وتقديم التضحيات، فإذا قاموا وقدموا التضحيات وليس لهم مقصد من وراء ذلك إلا إقامة الدين فعندها تصبح نصرة الله قريبة منهم وعين الله ترعاهم حتى إذا بلغت هذه التضحيات درجة الكمال جاء الإعلان من الله العزيز﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ

(١) سورة الحج ــ الآية ٤٠.

الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ ﴾(١) وكأن الله يعلن معلوماً بعد الآن أن وقت المصائب والمشقات قد انتهى وأن النصرة والمدد سيصلكم قريباً والآن أينما توجهتم لقصد إشاعة هذا الدين ونشره فنحن معكم.

لا شك أن في هذا الزمن يوجد الهم والحزن لإقامة الدين، ولكن نتناسى ونغفل عن التضحيات التي كان الأنبياء عليهم السلام يقيمون أتباعهم وأنصارهم على تقديمها لحصول معية الله ﷻ، فنسعى إلى إقامة الدين بغير معية الله ﷻعز وجل ونريد إقامة الدين بالخطب والكتب والمقالات والملك والمال والأكثرية والقومية ، وهذه الطرق كلها خلاف سنة الله وخلاف طريق الأنبياء، نعم يأتي هناك وقت تكون الوسائل تحت أقدام أصحاب الدعوة، ولكن نجاح دعوتهم لهم يعتمد ولو لمرة واحدة على الوسائل فالمرحلة الابتدائية فقط يكون فيها الاعتماد الكلي على النصرة الإلهية ويكون النجاح والغلبة بدون الوسائل والتي بسببها تنكشف حقيقة الإسلام أمام أعدائه ومخالفيه؛ ففي الحالات التي يكون فيها هزيلاً وضعيفاً لا بد من تعلم كيفية إقامة هذا الدين في حياة هؤلاء الرجال ولأن المجال هنا لا يسمح لكل فرد بالعمل كما يريد وكما يأتي في مخيلته وهواه.

وخلاصة ما تقدم: أنه لتقوية الإيمان وتطبيق أوامر الله ﷻ لا بد من أداء الدعوة والقيام بعمل الدعوة إلى الله بالشكل الجماعي، وجعل نشر الدين وإشاعته هو المقصد، ولإقامة هذا المقصد التمرين والتدريب على التضحية بكل حائل ومانع وملاقاة الناس

(١) سورة البقرة ــ الآية ٢١٤ .

وزيارتهم فرداً والتكلم معهم بالحكمة واللين والرجاء ترك اللذات النفسانية والراحة الجسمانية لحصول لذة الإيمان والتحول في العالم بيتا بيتا وبلدة بلدة ودولة دولة وبدون أي مقصد ظاهري أو باطني إلا الدعوة إلى الله ونشر الدين وإشاعته، والسفر والتنقل لهذا الجهد العظيم والصبر على كل خسارة جسمية ومالية من أجل القيام بهذا العمل فهو الطريق الرئيسي والسبيل القوم لصحاب الدعوة.

الدعوة بطريق الجولات في عهد الرسالة:

روح الدعوة إلى الله تعالى: هي جهد وعمل عظيم يختار الله تعالى له أفراد مخصوصين (وهم الأنبياء) يؤلفون رابطتهم وعلاقتهم مع خالقهم ومالكهم من جهة ، ويجتهدون من جهة أخرى بكل ما أوتوا من قوة لدعوة الناس إلى ذات الله تعالى، وبعد ختم الأنبياء بعثة الرسول ﷺ انتقل وتحول هذا الجهد إلى أمة المسلمين، لهذا علم الرسول ﷺ هذا الجهد لكل فرد من هذه الأمة كما علم وربى القائمين على هذا الجهد كيفية الارتباط مباشرة بالقدرة الإلهية، ومن ثم كان المثال والقدوة في تقديم الجهد والتضحيات اللازمة لدعوة الناس.

ونتيجة لذلك أصبح الصحابة الكرام رضي الله عنهم مشغولين بالدعوة إلى درجة أن خروج الروح من الجسم أهون عليهم من ترك جهد الأنبياء وأصبح من السهل عليهم رؤية الأولاد والزوج، وهم يتحملون الجوع والفاقة من أجل نشر الدين، فكان انهماكهم في خدمة الدين وإحيائه، إلى حد أنهم لم يلقوا أي اهتمام أو التفات إلى التجارة والزراعة والمنصب والحكومة.

فالإيمان الراسخ والصبر والاستقامة التامة شيء لا بد منه لإقامة الدين لذلك فقد جعل الرسولﷺ كل توجهه واهتمامه لإفشاء هذا الدين وإحياء هذه الصفات حتى سهل عليهم ترك المحبوبات والمرغوبات والمألوفات والرفاهية والراحة والملك والعشيرة والوطن والتجارة والزراعة والمنصب وليس فقط تركها، بل جاء في قلوبهم الرغبة والشوق والعاطفة لتقديم ا،فسهم ورقابهم لدين الله تعالى، عندها فقط انتخبت هذه الأمة لنيابة الأنبياء عليهم السلام وعندها أصبحت هذه الأمة مستحقة لنصرة الله تعالى ومعيته وفتحت عليها بركات السماء والأرض وعندها قيل لهم اخرجوا إلى العالم لدعوة القوام إلى الإسلام فخرجوا في كل حال وقدموا المال والنفس لذلك عن طيب خاطر فهذه هي طريقة النجاح والفلاح.

لذلك جعل النفس في سبيل الله تعالى فإقامة الدين بمنزلة الروح، وقيل لهذه الأمة بصراحة إذا لم يكن النفر والخروج الجماعي لإحياء الدين فيسلط عليهم العذاب الاجتماعي، وبعدها إذا لم تفتح عيونهم ولم تتوجه أنظارهم واستمروا في سباتهم، بعد هذا تسحب منهم الأهلية ويحرموا من هذه الوظيفة.

بهذه الصيغة في القرآن الكريم جعل النفر في سبيل الله والخروج بالشكل الجماعي عملاً لازماً لا مفر منه ، قال الله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ * إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا

وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * لاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(١)

فإذا نظرنا في تعبير القرآن الكريم يتضح لنا أنّ الخير لهذه الأمة هو في النفر والخروج لأن بقاء الأمة المسلمة هو بالدعوة العالمية والتي لا يمكن أن تبقى بغير النفر والخروج فالأصل غفي عمل التبليغ هي مادة التضحية وكذلك تعلم نظام الدعوة والتمرن عليه بواسطة الخروج والنفر في سبيل الله تعالى، لهذا فالقوم الذين فقدت منهم مادة التضحية وأصبح الخروج والتحول لدين الله تعالى غير معروفاً عندهم ليسوا أهلاً لإقامة الدين وإحيائه فلإيجاد الكفاءة والاستعداد لذلك ينبغي أولاً وقبل كل شيء الجهد في هذه الأمة وإلا فستبقى دائماً جهودنا بلا ثمر ولا أثر. وفي الأصل أن عمل التبليغ هو الإحياء والخروج في سبيل الله تعالى في الأمة.

---

١) سورة التوبة _ الآيات من ٣٨ : ٤١.

النفر والخروج في عهد الرسالة:

في هذا الجزء نذكر على سبيل المثال بعض القصص والواقعات لنفر وخروج وسفر الرسول وصحابته الكرام في سبيل الدعوة.

السفر للطائف للدعوة:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ :فَلَمَّا هَلَكَ أَبُو طَالِبٍ نَالَتْ قُرَيْشٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَذَى مَا لَمْ تَكُنْ تَنَالُهُ مِنْهُ فِي حَيَاةِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الطَّائِفِ ، يَلْتَمِسُ مِنْ ثَقِيفٍ النُّصْرَةَ وَالْمَنَعَةَ بِهِمْ مِنْ قَوْمِهِ ، وَرَجَاءَ أَنْ يَقْبَلُوا مِنْهُ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ وَحْدَهُ ، فَحَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي زِيَادٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ ، قَالَ : لَمَّا انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الطَّائِفِ ، عَمَدَ إِلَى نَفَرٍ مِنْ ثَقِيفٍ ، هُمْ سَادَةُ ثَقِيفٍ وَأَشْرَافُهُمْ ، وَهُمْ إِخْوَةٌ ثَلَاثَةٌ : عَبْدُ يَالِيلَ ، وَمَسْعُودٌ ، وَحَبِيبٌ ، بَنُو عَمْرِو بْنِ عُمَيْرِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عُقْدَةَ بْنِ غِيَرَةَ بْنِ عَوْفِ بْنِ ثَقِيفٍ ، وَعِنْدَ أَحَدِهِمُ امْرَأَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي جُمَحَ ، فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ ، وَكَلَّمَهُمْ بِمَا جَاءَهُمْ لَهُ مِنْ نُصْرَتِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ ، وَالْقِيَامِ مَعَهُ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ مِنْ قَوْمِهِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ : هُوَ يَمْرُطُ ثِيَابَ الْكَعْبَةِ إِنْ كَانَ اللَّهُ أَرْسَلَكَ . وَقَالَ الْآخَرُ : أَمَا وَجَدَ اللَّهُ أَحَدًا أَرْسَلَهُ غَيْرَكَ ؟ وَقَالَ الثَّالِثُ : وَاللَّهِ لَا أُكَلِّمُكَ أَبَدًا؛ لَئِنْ كُنْتَ رَسُولًا مِنَ اللَّهِ كَمَا تَقُولُ ، لَأَنْتَ أَعْظَمُ خَطَرًا مِنْ أَنْ أَرُدَّ عَلَيْكَ الْكَلَامَ ، وَلَئِنْ كُنْتَ تَكْذِبُ عَلَى اللَّهِ ، مَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أُكَلِّمَكَ . فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عِنْدِهِمْ ، وَقَدْ يَئِسَ مِنْ خَيْرِ ثَقِيفٍ ، وَقَدْ قَالَ لَهُمْ – فِيمَا ذُكِرَ لِي – : " إِنْ فَعَلْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ ، فَاكْتُمُوا عَلَيَّ " . وَكَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَبْلُغَ قَوْمَهُ عَنْهُ فَيُذْئِرَهُمْ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَفْعَلُوا وَأَغْرَوْا بِهِ سُفَهَاءَهُمْ وَعَبِيدَهُمْ ، يَسُبُّونَهُ وَيَصِيحُونَ بِهِ ، حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ ، وَأَلْجَئُوهُ إِلَى حَائِطٍ لِعَتَبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَهُمَا فِيهِ ، وَرَجَعَ عَنْهُ مِنْ سُفَهَاءِ ثَقِيفٍ مَنْ كَانَ يَتْبَعُهُ ، فَعَمَدَ إِلَى ظِلِّ حَبَلَةٍ مِنْ عِنَبٍ فَجَلَسَ فِيهِ ، وَابْنَا رَبِيعَةَ يَنْظُرَانِ إِلَيْهِ ، وَيَرَيَانِ مَا يَلْقَى مِنْ سُفَهَاءِ أَهْلِ الطَّائِفِ –وَقَدْ لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِيمَا ذُكِرَ لِي ، الْمَرْأَةَ التِي مِنْ بَنِي جُمَحَ ، فَقَالَ لَهَا : " مَاذَا لَقِينَا مِنْ أَحْمَائِكِ! " . فَلَمَّا اطْمَأَنَّ ، قَالَ – فِيمَا ذُكِرَ لِي : –اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي ، وَقِلَّةَ حِيلَتِي ، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ ، وَأَنْتَ رَبِّي ، إِلَى مَنْ تَكِلُنِي ؟ إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي ، أَمْ إِلَى عَدُوٍّ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي ؟ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ عَلَيَّ فَلَا أُبَالِي ، وَلَكِنَّ عَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي ، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ ، أَوْ تُحِلَّ عَلَيَّ سَخَطَكَ ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ . "هَكَذَا أَوْرَدَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي كِتَابِهِ " السِّيرَةِ " هَذَا الدُّعَاءَ مِنْ غَيْرِ إِسْنَادٍ ، بَلْ ذَكَرَهُ مُعَلَّقًا بِصِيغَةِ الْبَلَاغِ ، فَقَالَ : فِيمَا ذُكِرَ لِي (١).

وبعد الجولة الخصوصية ابتدأ في الجولة العمومية في القوم واجتمعوا يستهزؤون برسول

(١) البداية والنهاية » كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم » فصل في ذهابه صلى الله عليه وسلم إلى أهل الطائف.

وَقَدْ ذَكَرَ ذلك مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ فقال : وَقَعَدَ لَهُ أَهْلُ الطَّائِفِ صَفَّيْنِ عَلَى طَرِيقِهِ ، فَلَمَّا مَرَّ جَعَلُوا لَا يَرْفَعُ رِجْلَيْهِ ، وَلَا يَضَعُهُمَا ، إِلَّا رَضَخُوهُمَا بِالْحِجَارَةِ حَتَّى أَدْمَوْهُ ، فَخَلَصَ مِنْهُمْ وَهُمَا يَسِيلَانِ الدِّمَاءَ ، فَعَمَدَ إِلَى ظِلِّ حَبَلَةٍ ، وَهُوَ مَكْرُوبٌ ، وَفِي ذَلِكَ الْحَائِطِ عُتْبَةُ وَشَيْبَةُ ابْنَا رَبِيعَةَ فَكَرِهَ مَكَانَهُمَا؛ لِعَدَاوَتِهِمَا اللَّهَ وَرَسُولَهُ . ثُمَّ ذَكَرَ قِصَّةَ عَدَّاسٍ النَّصْرَانِيِّ كَنَحْوِ مَا تَقَدَّمَ.

ولنسمع حديث رسول الله عليه السلام عن هذه الجولة : ثَبَتَ فِي " الصَّحِيحَيْنِ " مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهْبٍ ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ بْنُ يَزِيدَ ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ ، أَنَّ عَائِشَةَ حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ ؟ قَالَ: " لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ ، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي ، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَنَادَانِي ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ . ثُمَّ نَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ قَدْ بَعَثَنِي إِلَيْكَ رَبُّكَ؛ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ ، فَمَا شِئْتَ ؟ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا . "

وَقَدْ رَوَيَ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ ، فِي تَرْجَمَةِ الْقَاسِمِ بْنِ اللَّيْثِ الرَّسْعَنِيِّ ، شَيْخِ النَّسَائِيِّ والطَّبَرَانِيِّ وَغَيْرِ وَاحِدٍ ، بِسَنَدِهِ مِنْ حَدِيثِهِ ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي صَفْوَانَ الثَّقَفِيُّ ، حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، قَالَ : لَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو طَالِبٍ ، خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الطَّائِفِ مَاشِيًا عَلَى قَدَمَيْهِ . قَالَ : فَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَلَمْ يُجِيبُوهُ ، فَانْصَرَفَ إِلَى ظِلِّ شَجَرَةٍ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ قَالَ " : اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي ، وَقِلَّةَ حِيلَتِي ، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ ، أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، أَنْتَ أَرْحَمُ بِي ، إِلَى مَنْ تَكِلُنِي ؟ إِلَى عَدُوٍّ يَتَجَهَّمُنِي ، أَمْ إِلَى قَرِيبٍ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي ؟ إِنْ لَمْ تَكُنْ غَضْبَانَ عَلَيَّ فَلَا أُبَالِي ، غَيْرَ أَنَّ عَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي ، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ ، أَوْ تُحِلَّ عَلَيَّ سَخَطَكَ ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ . "

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ :فَلَمَّا رَآهُ ابْنَا رَبِيعَةَ عُتْبَةُ وَشَيْبَةُ وَمَا لَقِيَ ، تَحَرَّكَتْ رَحِمُهُمَا ، فَدَعَوَا غُلَامًا نَصْرَانِيًّا يُقَالُ لَهُ : عَدَّاسٌ .فَقَالَا لَهُ : خُذْ قِطْفًا مِنْ هَذَا الْعِنَبِ ، فَضَعْهُ فِي هَذَا الطَّبَقِ ، ثُمَّ اذْهَبْ بِهِ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ ، فَقُلْ لَهُ يَأْكُلُ مِنْهُ ، فَفَعَلَ عَدَّاسٌ ، ثُمَّ ذَهَبَ بِهِ حَتَّى وَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : كُلْ . فَلَمَّا وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ فِيهِ ، قَالَ : " بِسْمِ اللَّهِ " ، ثُمَّ أَكَلَ ، فَنَظَرَ عَدَّاسٌ فِي وَجْهِهِ ، ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ مَا يَقُولُهُ أَهْلُ هَذِهِ الْبِلَادِ! فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " وَمِنْ أَهْلِ أَيِّ بِلَادٍ أَنْتَ يَا عَدَّاسُ ؟ وَمَا دِينُكَ

؟ " . قَالَ : نَصْرَانِيٌّ ، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ نِينَوَى . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مِنْ قَرْيَةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ يُونُسَ بْنِ مَتَّى ؟ " . فَقَالَ لَهُ عَدَّاسٌ : وَمَا يُدْرِيكَ مَا يُونُسُ بْنُ مَتَّى ؟ !فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ذَلِكَ أَخِي ، كَانَ نَبِيًّا وَأَنَا نَبِيٌّ " . فَأَكَبَّ عَدَّاسٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَبِّلُ رَأْسَهُ وَيَدَيْهِ وَقَدَمَيْهِ . قَالَ : يَقُولُ ابْنَاءُ رَبِيعَةَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : أَمَّا غُلَامُكَ فَقَدْ أَفْسَدَهُ عَلَيْكَ . فَلَمَّا جَاءَهُمَا عَدَّاسٌ ، قَالَا لَهُ : وَيْلَكَ يَا عَدَّاسُ ، مَا لَكَ تُقَبِّلُ رَأْسَ هَذَا الرَّجُلِ وَيَدَيْهِ وَقَدَمَيْهِ ؟ قَالَ : يَا سَيِّدِي ، مَا فِي الْأَرْضِ شَيْءٌ خَيْرٌ مِنْ هَذَا ، لَقَدْ أَخْبَرَنِي بِأَمْرٍ مَا يَعْلَمُهُ إِلَّا نَبِيٌّ . قَالَا لَهُ : وَيْحَكَ يَا عَدَّاسُ ، لَا يَصْرِفَنَّكَ عَنْ دِينِكَ؛ فَإِنَّ دِينَكَ خَيْرٌ مِنْ دِينِه (١).

الفائدة: عد هذا الدعاء تحرك النظام السماوي فوراً فجاء جبريل عليه السلام ومعه ملك الجبال وقالا: إن أردت أن نطبق عليهم الأخشبين فعلنا! ولا يحتمل ذلك إلا مدة الأمر والإشارة منك فأجاب رسول الله ﷺ إجابة الشفيق الرحيم: إنما أريد هدايتهم وإن لم يكن ذلك مقدراً لهم فأسأل الله أن يخرج من أصلابهم من يوحد الله. وكان يدعو لهم قائلاً: اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون، هذه هي طريقة أصحاب الدعوة وهذا كمال الصبر والاستقامة التي بسببها يهدي الله تعالى الأقوام ويقبل بقلوبهم إلى الإيمان والإسلام فالنفر في سبيل الله والجهد لدينه تعالى لم يكن لمدة محدودة ومرحلة وقتية وإنما كان نموذجاً عملياً للدعوة والتبليغ إلى يوم القيامة ونستطيع أن نلخص هذه

(١) حياة الصحابة، ٣٦٨/١.

الأصول للداعي كالآتي :

١) على الداعي أن يكون ذو همة عالية وعزيمة قوية فيجتهد للإصلاح في بلده وفي خارج بلده كذلك في وقت واحد وعليه أن لا ينظر أنه طالما لم تصلح بلدتي أو دولتي فلا أذهب إلى غيرها. لأن لو كان الأمر كذلك لما خرج رسول الله ﷺ خارج مكة المكرمة.

٢) بعد السفر للخارج بواسطة الجولات الخصوصية والزيارات ندعو صحاب الجاه والزعامة ونجتهد لتوجيهه.

٣) إذا لم تتوجه هذه الطبقة التي لها الزعامة والأثر فبواسطة الجولة العمومية نقوم بدعوة عامة الناس والتكلم معهم.

٤) بعد القيام بالسفر لخارج البلد أو الدولة فليس هناك من الضروري أن يستجيب الناس فوراً للداعي وينصروه بل من الممكن والمحتمل جداً أن تأتي المعارضة والمخالفة من كل الطبقات ولكن من بعد ذلك على الداعي أن لا يخالف أحداً ، أو يجادل بل عليه أن يختار الصبر والتحمل وحسن الخلق وأن يستمر ي الدعوة في خلال لفترة الدعوة، إذا كان الخلاف والنزاع مع أنظمة الطاغوت ووجدنا الفرصة للغلبة ورد الضربة فعندها كذلك علينا أن نلجأ للصبر، بدلاً من أن تتسلط علينا فكرة الانتقام منهم وإهلاكهم يجب أن تكون فكرة هدايتهم وحب الخير لهم غالبة علينا فهذا الصبر والتحمل تفتح لهم أبواب الهداية، فليس من صفات أصحاب الدعوة الانتقام ممن يخالفهم ، ولكن إذا خالفوا ندعو لهم ونعفو عنهم.

في هذا الزمن يكون النفر والخروج في سبيل الله للدعوة والتبليغ وإحياء طريق الأنبياء عليهم السلام في الدعوة (بالجولات العمومية والخصوصية، بالدعوة العمومية والخصوصية، الجولة في الحي وفي الأحياء الأخرى مع التضحيات والعبادات وكذلك الدعاء، فهذه كانت الجوهرة الثمينة في حياة الأنبياء عليهم السلام والتي بغيرها لا يمكن أن تقوم دعوة الأنبياء عليهم السلام في العالم.

ومن الضروري كذلك إقامة نظام الدعوة وإقامة الفكر لتكوينها حيث أنه من المؤسف جداً بدلاً من إتباع طريق الأنبياء عليهم السلام في الدعوة للإسلام أخذنا بإتباع الطرق التي اختارها غير المسلمين وأصبحنا نريد إقامة الحق بالطرق الباطلة مع العلم بأنه من المستحيلات تعمير صروح الحق على أسس باطلة.

نظرة على جولاته ﷺ للدعوة:

لما رجع رسول اللهﷺ من الطائف أخذ في التجول على القبائل المختلفة أو يخرج خارج مكة وكان إذا لقيه مسافر أو غريب دعاه إلى الإسلام ووحدانية الله تعالى ففي تلك الأيام ذهب ﷺ إلى قبيلة كنده وكان اسم زعيمها مليح ثم وصل إلى بني عبد الله وأخبرهم ا، اسم أبيهم كان عبد الله فكونوا اسماً على مسمى (أي كونوا عباداً لله حقاً.

وذهب ﷺ إلى بني حنيفة فأنكروا عليه أسوأ نكران.

وذهب إلى قبيلة عامر بن صعصعة حيث أن رجلاً منها يقال له بجبيرة بن فراس فلما دعاه رسول الله ﷺ قال: أرأيت إن نحن تابعناك ثم أظهرك الله على من يخالفك

أيكون لنا الأمر من بعدك؟ فأجاب رسول اللهﷺ الأمر لله يضعه حيث يشاء لأن الذي يقوم هنا عليه أن يقدم المال والنفس لرضاء الله تعالى فقط وليس لأي مقصد آخر فلما سمع الجواب قال: أفتهدف نحورنا للعرب دونك فإذا.

التجول على منازل العرب:

ويستمر رسول الله ﷺ في تجواله على منازل العرب سنتين متواليتين وكان يرافقه أبو بكر الصديق وعلي رضي الله عنهما أو زيد بن حارثة فكان ﷺ يدعوهم إلى الإيمان بالله تعالى ويعرض نفسه على قبائل العرب حتى ينصروه ويمنعوه لتبليغ رسالة ربه.

ولم يكن ﷺ من طريقته في الدعوة جمع الناس والخطابة فيهم وإنما كانت طريقته كما يتضح من رواية ابن كثير التالية : والمقصود أن رسول الله ﷺ كان يدعو إلى الله تعالى ليلاً ونهاراً سراً وجهاراً يصرفه عن ذلك صارف ولا يرده عن ذلك راد ولا يصده صاد فهو يتبع الناس في أنيدتهم ومجامعهم وفي المواسم ومواقف الحج ويدعو من لقيه من حر وعبد وضعيف وقوي وغني وفقير، جميع الخلق في ذلك عنده سواء. (١).

الفائدة: يتضح من هذا طريقة داعي الإسلام فقد كان ﷺ يتكلم مع كل من يلاقيه وذلك لإشاعة الإسلام وتكوين البيئة في كل حي وكل بيت فهو يعرض على الناس كلمة التوحيد ورسالته ومن قبل منه الإسلام فهو يعرف من أول يوم يدخل فيه الإسلام أن وظيفته كذلك دعوة الناس إلى الله وحده ولم يكن أحدهم يفهم أن مجرد

---

(١) البداية ٣ /٤٠ .

دخوله في الإسلام كاف له فطريقة النبي ﷺ في الدعوة إلى الله تعالى واضحة جداً ولكن القيام بالدعوة على هذا المنوال بالتجوال على البيوت والأحياء صعب جداً على النفس وأما إلقاء الخطب وطباعة النشرات والقيام بالدعوة بهذه الطرق المختلفة ليس فقط سهلاً بل بسبب انتشار هذه الطرق في العالم أصبحت هذه الطرق مرغوبة الآن لدى النفس ولكن عند الله تعالى ليس هناك أية قيمة لما هو شائع ومنتشر بل إن إتباع الرسولﷺ هو الشيء المطلوب والمحبوب عند الله تعالى، ففي زماننا الحاضر تلقى الخطب في الحفلات والاجتماعات الكبيرة أما الذهاب إلى الناس وقرع أبوابهم عليهم والتجول في أحياهم لدعوتهم إلى الله تعالى فمحتقر لدى الناس الآن؟ وحتى كثير من الناس المتدينين يستهزؤون بهذه الطريقة مع العلم بأن التجوال بهذه الطريقة هي العمل الأساسي في دعوتهﷺ ولكن إذا تصدق قلوبنا وتقنع فهناك ألف حجة.

جولات الرسول ﷺ للدعوة:

لقد قدمنا في السابق عن كيفية جولات الرسول ﷺ بصورة مجملة والآن نورد بعض القصص لفهم طريقة التكلم في هذه الجولات بشكل تفصيلي فهذه الجولات استمرت من ١٠-١٢ سنة ولم يكن لها أي فائدة ظاهرة ولكن هذه الجولات مع استمرارها في إيجاد الأثر في قلوب الناس ، كانت مع ذلك تحرك النظام السماوي وتوجهه إلى طرفها ، إلى أن جاء الوقت وقضى الله سبحانه وتعالى وفصل بالهداية لأهل العالم وأصبح نور الإيمان يسري ويتغلغل في القلوب، فهذه الجولات بمثابة الأساس لإقامة الدين فقد بدأت في مكة المكرمة وأصبحت تتوسع حتى شملت جميع أنحاء الجزيرة، لكن عندما

جاءت في أيدي الأمة الإسلامية تقاليد البلاد والأموال بسبب هذه الجولات أصبحوا يفهمون أن الحكومة والأموال أصلا لإقامة الدين بالأوائل والسلف من هذه الأمة كانوا على علم من أن المال والحكم وإن كان تحت الدين وتابعاً له لكن هذا كله لا يعادل إذا ما قورن بجولة واحدة من جولات الدعوة على النهج المحمدي لذلك كانوا يقدمون ويؤثرون الخروج في سبيل الله تعالى لإقامة الدين والتضحية بالنفس لذلك على أن يكونوا ولاة وعمالاً على الولايات والإمارات المختلفة ففي زماننا هذا أهتم الناس واجتهدوا لحصول المال والحكم وهناك كانوا يبكون على مجيء الأموال والغنائم وذلك لأنهم كانوا على بينة من هذا السر العظيم.

والرسول الكريم ﷺ اختار أن يكون عبداً رسولاً ولم يجبذ ورفض أن يكون ملكاً رسولاً حينما خير بينهما. فلذلك هم كانوا يعرفون أن الملك والمال ليس له أي دخل من الناحية الأساسية لإقامة الدين وإنما يتعلق بمنهاج الدعوة المحمدي الذي كان بعيداً عن وسائل الملك والمال.

وهذا الملك والمال بعد قيام الإسلام أعطاه الله تعالى ونقله إلى أيدي العبيد والإماء الذين هم أهل الإيمان ولكن أواخر هذه الأمة فهموا أن الملك والمال هو أساس لإقامة الدين وهذا هو الخطأ الرئيسي الذي بسببه فشلت جميع حركات الإصلاح والدعوة.

ولم لا ؟ وهو أنه عندما تكون الدعوة الإسلامية ليس معها التأييد الإلهي وليس فيها الإتباع لسيدنا محمد ﷺ وعندما لا تكون المشابهة والتأسي فمع فشلها في الدنيا هناك الخطر كذلك على الفشل أمام رب العزة في الآخرة ولكننا إذا قمنا بمشابهة طريق

الرسول ﷺ فتحصل النصر الأكيد في الدنيا والآخرة كذلك.

عرضه ﷺ عليه الصلاة والسلام الدعوة في منى:

عن ربيعة بن عباد بن أبيه قال: إني لغلام شاب مع أبي بمنى إذ برسول الله ﷺ يقف على منازل القبائل من العرب فيقول: يا بني فلان إني رسول الله إليكم آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وأن تخلفوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد وأن تؤمنوا بي وتصدقوا بي وتمنعوني حتى أبين عن الله ما بعثني به (١)

الفائدة: كان الرسول ﷺ في جولاته يؤكد على شيئين:

١) التوحيد الكامل وترك كل ما سوى الله تعالى .

٢) الإيمان بالرسول ﷺ وبالتصديق بما جاء به وتضحية المال والنفس لإقامة الدين ونصرته ﷺ لإقامة هذا الدين.

فلم يكن عندهم أن الإنسان يؤمن ومن ثم يخرج ويشتغل في العبادة، لذلك الصحابة الكرام – رضوان الله عليهم – عذبوا بالجمر وكانوا يجرون بالحبال بأزقة مكة ووضعوا على الرمل الحار وتحملوا جميع أنواع المظالم واستمروا في الدعوة إلى الله تعالى، ولم يقل أحد منهم أنه لم يكن عندنا الحكومة ولم يكن المال في أيدينا، أو إذا لم يستجيب الناس فكيف تمشي الدعوة وكيف يقوم الإسلام. بل هم استمروا في أداء التضحيات حتى تقبلت هذه الدعوة وقضى الله تعالى بالهداية للإنسانية.

---

(١) البداية ٣ /٤٢ .

والآن كذلك نفرغ أوقاتنا ونقوم للتدريب والتمرين على هذه الجولات مع التضحية، والفرق هو أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتجولون على الكفار يدعونهم للإسلام وهذه الجولات للآن هي لتحريض الأمة للقيام على الدعوة للإسلام وهذه الأمة التي خرجت منها الكفاءة والأهلية لأداء الدعوة هذه الأمة علينا أن نرجوها ونحرضها لكي تقوم وتتحصل ذلك المقام الرفيع مقام الدعوة إلى الله تعالى وتأخذ في ذلك منهاج الصحابة الكرام رضي الله عنهم أسوة وقدوة لهم في جهدهم

جولاته ﷺ للدعوة في سوق ذي المجاز:

استمر الرسولﷺ السنين وهو يتجول في أحياء مكة المكرمة والأسواق ولم يكن مقصد هذه الجولات فقط الإقرار بهذه الكلمة أو إخبار الناس بالتوحيد ولكن حتى يرسخ في الذهان والعقول أن هذه الكلمة كلمة التوحيد، هي التي يمكن فيها فلاح وفوز الدارين وكلما كان الرسولﷺ يدعو قوماً من الأقوام لهذه الكلمة يعطيهم على ذلك الضمانة بالفلاح والفوز، حيث كان يقول ﷺ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفْلِحُوا " يعني أيها الناس بدلا من إقامة الروابط مع المخلوق لقضاء حاجاتكم اجعلوا فقط رابطة واحدة مع ذات الله تعالى.

فعندما ينقطع التفاتكم توجهكم عن المخلوق وتصبحوا عبيداً للخالق عز وجل فإنه يتكفل بكل حاجاتكم الاجتماعية والانفرادية من كان لله كان الله له.

فهذه الجولات العمومية "أثمرت بعد سنين وأصبحت سببا للنفر في سبيل الله إلى

أنحاء العالم كما يروي صاحب البداية عن شُعْبَةُ ، عَنِ الْأَشْعَثِ بْنِ سُلَيْمٍ ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ كِنَانَةَ ، قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ ، وَهُوَ يَقُولُ : " قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفْلِحُوا " . وَإِذَا خَلْفَهُ رَجُلٌ يَسْفِي عَلَيْهِ التُّرَابَ ، فَإِذَا هُوَ أَبُو جَهْلٍ وَيَقُولُ : لَا يَغُرَّنَّكُمْ هَذَا عَنْ دِينِكُمْ ، فَإِنَّمَا يُرِيدُ أَنْ تَتْرُكُوا عِبَادَةَ اللَّاتِ وَالْعُزَّى .إِسْنَادُهُ قَوِيٌّ (١).

وعَنْ رَبِيعَةَ بْنِ عَبَّادٍ الدُّؤَلِيِّ ، قَالَ : رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ يَتْبَعُ النَّاسَ فِي مَنَازِلِهِمْ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ ، وَوَرَاءَهُ رَجُلٌ أَحْوَلُ تَقِدُّ وَجْنَتَاهُ ، وَهُوَ يَقُولُ : لَا يَغُرَّنَّكُمْ عَنْ دِينِكُمْ وَدِينِ آبَائِكُمْ . قُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا : أَبُو لَهَبٍ .

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي الزِّنَادِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ عِبَادٍ مَنْ بَنِي الدِّيلِ ، وَكَانَ جَاهِلِيًّا فَأَسْلَمَ ، أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذِي الْمَجَازِ ، وَهُوَ يَمْشِي بَيْنَ ظَهْرَانَيِ النَّاسِ يَقُولُ : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفْلِحُوا ، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفْلِحُوا " وَوَرَاءَهُ أَبُو لَهَبٍ .فَذَكَرَ الْحَدِيثَ . قَالَ رَبِيعَةُ :وَأَنَا يَوْمَئِذٍ أَزْفُرُ الْقِرْبَةَ لِأَهْلِي .

الفائد: لم يكن من نظام دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولا من ترتيبهم أن يخطبوا الخطب الطويلة لتقليب قلوب الناس ولم يكونوا يعرضون على الناس الإسلام الفلسفي، بل كانوا لإدخال الإيمان في قلوب الإنسانية يقدموا التضحيات ويذهبوا إلى الناس واحداً واحداً، وفي كل مجمع للناس يتقدموا ويبينوا عظمة الله تعالى فكانت دعوتهم

(١) البداية والنهاية ٣ /١٣٩.

قائمة على أساس التضحية، ولم يحدث أنهم عرضوا الإسلام بالخيال الشاعري التصوري لحصول الخراج والضرائب من الناس، ولم يكن مقصودهم أن الناس ينفعلوا بكلامهم حتى يهتفوا لهم ويصيحوا خلفهم، إنما كان مقصدهم التوحيد هو تحويل هذه القلوب وتوجيهها إلى ذات الله تعالى لأن الإنسان متعد لسماع أي شيء ولكن ليس بمستعد للتضحية بحياة الشهوات والقيام بما يرضي الله تعالى .لذلك كان عمل الأنبياء عليهم السلام شاقاً وصعباً لأنهم لم يكونوا فقط يخطبون في الناس ومن ثم يضحكون ويلعبون وإنما كانوا يجتهدون على كل إنسان حتى يصبح نموذجاً في الإيمان والأعمال لذلك كان كلام الأنبياء هذا للناس لا يطق ولذلك كانوا يتعدون عنهم ويقدموا بكل ما يمكنهم ضدهم وفي مخالفتهم.

أما في خطبنا الموجودة الآن فهناك يكون الحظ الأوفر في لذة النفس بهذا الخطيب والواعظ بنفسه لم يكن لله ولم يتعلق به فكيف له بأن يربط غيره بالله، لقد فهم الناس في هذا الزمان أن الدعوة والخطابة شيء واحد لم يفرقوا بينهما علماً بأن الأنبياء عليهم السلام هم الذين جاءوا بنظام الدعوة في العالم وعلموه للناس، وأما الخطابة فأساتذتها هم خطباء الجاهلية، فمقصود التبليغ إيصال كلام الله تعالى مع بذل الجهد وتحمل كل الصعاب لذلك وإن اقتضى الأمر إلى تحمل الضرب والأذى أو سفي التراب بالوجه أو القذف بالحجارة لأن الدعوة في الحقيقة ينبغي أن تؤخذ من حياة الأنبياء عليهم السلام.

عرضه عليه السلام الدعوة على بني شيبان:

أخرج البيهقي في "دلائل النبوة" (٤٢٢/٢) وأبو نعيم في "دلائل النبوة" (٢١٤) وابن عساكر في "تاريخه" (٢٩٣/١٧) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَعْرِضَ نَفْسَهُ عَلَى قَبَائِلِ الْعَرَبِ خَرَجَ - وَأَنَا مَعَهُ وَأَبُو بَكْرٍ - إِلَى مِنًى حَتَّى دَفَعْنَا إِلَى مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الْعَرَبِ فَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَسَلَّمَ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ مُقَدَّمًا فِي كُلِّ حِينٍ وَكَانَ رَجُلًا نَسَّابَةً فَقَالَ: مِمَّنِ الْقَوْمُ؟ قَالُوا: مِنْ رَبِيعَةَ قَالَ: وَأَيُّ رَبِيعَةَ أَنْتُمْ؟ مِنْ هَامَتِهَا أَمْ مِنْ لَهَازِمِهَا؟ قَالُوا: بَلْ مِنْ هَامَتِهَا الْعُظْمَى فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مِنْ أَيِّ هَامَتِهَا الْعُظْمَى؟ قَالُوا: ذُهْلٌ الْأَكْبَرُ ... إلى أن قَالَ: ثُمَّ انْتَهَيْنَا إِلَى مَجْلِسٍ عَلَيْهِ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ وَإِذَا مَشَايِخُ لَهُمْ أَقْدَارٌ وَهَيْئَاتٌ فَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَسَلَّمَ. قَالَ عَلِيٌّ: وَكَانَ مُقَدَّمًا فِي كُلِّ حِينٍ، فَقَالَ لَهُمْ أَبُو بَكْرٍ: مِمَّنِ الْقَوْمُ؟ قَالُوا: نَحْنُ بَنُو شَيْبَانَ بْنِ ثَعْلَبَةَ فَالْتَفَتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَيْسَ بَعْدَ هَؤُلَاءِ مِنْ عِزٍّ فِي قَوْمِهِمْ ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنْ كَانَ بَلَغَكُمْ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ فَهَا هُوَ ذَا فَقَالَ مَفْرُوقٌ: وَقَدْ بَلَغَنَا أَنَّهُ يَذْكُرُ ذَلِكَ ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِلَامَ تَدْعُو يَا أَخَا قُرَيْشٍ؟ فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَلَسَ ، وَقَامَ أَبُو بَكْرٍ يُظَلِّلُهُ بِثَوْبِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَدْعُوكُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَى اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، وَأَنْ تُؤْوُونِي ، وَتَمْنَعُونِي ، وَتَنْصُرُونِي ، حَتَّى أُؤَدِّيَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى مَا أَمَرَنِي بِهِ ، فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ تَظَاهَرَتْ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ ، وَكَذَّبَتْ رَسُولَهُ ، وَاسْتَغْنَتْ بِالْبَاطِلِ عَنِ الْحَقِّ

، وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ، قَالَ لَهُ: وَإِلَامَ تَدْعُو أَيْضًا يَا أَخَا قُرَيْشٍ؟ فَتَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : (فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) وَقَالَ لَهُ مَفْرُوقٌ: وَإِلَامَ تَدْعُو أَيْضًا يَا أَخَا قُرَيْشٍ؟ فَوَاللَّهِ مَا هَذَا مِنْ كَلَامِ أَهْلِ الْأَرْضِ ، وَلَوْ كَانَ مِنْ كَلَامِهِمْ لَعَرَفْنَاهُ فَتَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) فَقَالَ لَهُ مَفْرُوقٌ: دَعَوْتَ وَاللَّهِ يَا قُرَشِيُّ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ وَلَقَدْ أُفِكَ قَوْمٌ كَذَّبُوكَ وَظَاهَرُوا عَلَيْكَ ، وَكَأَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَشْرَكَهُ فِي الْكَلَّامِ هَانِئُ بْنُ قَبِيصَةَ فَقَالَ: وَهَذَا هَانِئُ بْنُ قَبِيصَةَ شَيْخُنَا وَصَاحِبُ دِينِنَا ، فَقَالَ لَهُ هَانِئٌ: قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَكَ يَا أَخَا قُرَيْشٍ ، وَصَدَّقْتُ قَوْلَكَ ، وَإِنِّي أَرَى أَنَّ تَرْكَنَا دِينَنَا وَاتِّبَاعَنَا إِيَّاكَ عَلَى دِينِكَ لِمَجْلِسٍ جَلَسْتَهُ إِلَيْنَا لَيْسَ لَهُ أَوَّلٌ وَلَا آخِرٌ إِنْ لَمْ نَتَفَكَّرْ فِي أَمْرِكَ وَنَنْظُرْ فِي عَاقِبَةِ مَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ إِنَّهُ زَلَّةٌ فِي الرَّأْيِ ، وَطَيْشَةٌ فِي الْعَقْلِ وَقِلَّةُ نَظَرٍ فِي الْعَاقِبَةِ ، وَإِنَّمَا تَكُونُ الزَّلَّةُ مَعَ الْعَجَلَةِ ، وَإِنَّ مِنْ وَرَائِنَا قَوْمًا نَكْرَهُ أَنْ نَعْقِدَ عَلَيْهِمْ عَقْدًا وَلَكِنْ تَرْجِعُ وَنَرْجِعُ وَتَنْظُرُ وَنَنْظُرُ ، وَكَأَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَشْرَكَهُ فِي الْكَلَامِ الْمُثَنَّى بْنُ حَارِثَةَ فَقَالَ: وَهَذَا الْمُثَنَّى شَيْخُنَا وَصَاحِبُ حَرْبِنَا فَقَالَ الْمُثَنَّى: قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَكَ وَاسْتَحْسَنْتُ قَوْلَكَ يَا أَخَا قُرَيْشٍ وَأَعْجَبَنِي مَا تَكَلَّمْتَ بِهِ ، وَالْجَوَابُ هُوَ جَوَابُ هَانِئِ بْنِ قَبِيصَةَ ، إِنَّمَا نَزَلْنَا بَيْنَ صِيرَيْنِ أَحَدُهُمَا الْيَمَامَةُ وَالْأُخْرَى السَّمَاوَةُ ، وَإِنَّمَا نَزَلْنَا عَلَى عَهْدٍ أَخَذَهُ عَلَيْنَا كِسْرَى أَنْ لَا نُحْدِثَ حَدَثًا وَلَا نُؤْوِيَ مُحْدِثًا ، وَلَعَلَّ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي تَدْعُو إِلَيْهِ تَكْرَهُهُ الْمُلُوكُ ،

فَأَمَّا مَا كَانَ مِمَّا يَلِي بِلَادَ الْعَرَبِ فَذَنْبٌ صَاحِبُهُ مَغْفُورٌ ، وَعُذْرُهُ مَقْبُولٌ ، وَأَمَّا مَا كَانَ مِمَّا يَلِي بِلَادَ فَارِسَ فَذَنْبٌ صَاحِبُهُ غَيْرُ مَغْفُورٍ وَعُذْرُهُ غَيْرُ مَقْبُولٍ ، فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ نَنْصُرَكَ مِمَّا يَلِي الْعَرَبَ فَعَلْنَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَا أَسَأْتُمُ الرَّدَّ إِذْ أَفْصَحْتُمْ بِالصِّدْقِ إِنَّهُ لَا يَقُومُ بِدِينِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ حَاطَهُ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ) ، ثُمَّ نَهَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَابِضًا عَلَى يَدِ أَبِي بَكْرٍ ، ثُمَّ دَفَعْنَا إِلَى مَجْلِسِ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ فَمَا نَهَضْنَا حَتَّى بَايَعُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ عَلِيٌّ: وَكَانُوا صُدُقًا صُبُرًا رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ " (١).

الفائدة: لقد قبل زعماء هذه القبيلة بكلامه ﷺ ورضوا بما قال ولكنهم بسبب عدم ملائمة الأحوال في زمانهم ذلك اعتذروا عن الدخول في الإسلام وقالوا: "وأما ما كان مما يلي بلاد فارس فذنب صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول" وكأنهم خافوا من مناوشة الفرس وحربهم فأثنى رسول الله ﷺ على صدقهم ثم أخبرهم أنه لا يقوم بدين الله إلا من حاطه من جميع جوانبه، أي أخضع جميع الأحوال لهذا الدين ولما بشرهم رسول الله ﷺ بأموالهم وبلادهم وبناتهم قالوا كالمعجبين "اللهم وأن ذلك لك يا أخا قريش" أي هل تستطيع قتالهم بغير الأموال والقوات فأجابهم صلوات الله وسلامه عليه: إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً. (٢).أي أنني

---

(١) حسنه الحافظ في "الفتح" (٧/٢٢٠) وقال ابن كثير رحمه الله :" هذا حديث غريب جدا كتبناه لما فيه من دلائل النبوة ومحاسن الأخلاق ومكارم الشيم وفصاحة العرب ، وقد ورد هذا من طريق أخرى " انتهى من "البداية والنهاية" (٣ /١٧٨) .وضعفه الألباني في "الضعيفة" (٦٤٥٧) .

(٢) ورد في رواية أبي نعيم في الدلائل أن النبي قرأ هذه الآية.

صاحب الدعوة الإلهية وليس من الضروري لصاحب الدعوة الإلهية أن تكون معه القوة المادية لأتنه إنما هو رسول الله تعالى، والنصرة الإلهية معه لا تستطيع أن تقهرها أي طاقة في العالم فتعجبوا من كلامهﷺ وسكتوا ولم ينكروا ذلك كما يفعل المسلمون في هذا الزمن، وقام ﷺ وأخذ يتجول في القبائل الأخرى. وقد ورد هذا من طرق أخرى وفيه أنهم لما تحاربوا هم وفارس والتقوا معهم بقراقر – مكان قريب من الفرات – جعلوا شعارهم اسم محمدﷺ فنصروا على فارس، وقد دخلوا بعد ذلك في الإسلام.

وذكر أيضاً ابن كثير في البداية : فلم يلبث رسول الله ﷺ إلا يسيراً حتى خرج إلى أصحابه فقال لهم: احمدوا الله كثيراً فقد ظفرت اليوم أبناء ربيعة بأهل فارس قتلوا ملوكهم واستباحوا عسكرهم وبي نصروا" (١) وبعد عشر سنين كاملة من الأذى فتحت الأسباب والطرق لنشر الإسلام.

أخرج أبو نعيم أيضاً في الدلائل ص١٠٥ عن عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لما اشتد المشركون على رسول الله ﷺ قال لعمه العباس بن عبد المطلب : يا عم إن الله عز وجل ناصر دينه بقوم يهون عليهم رغم قريش عزا في ذات الله. فامض بي إلى عكاظ فأرني منازل أحياء العرب حتى أدعوهم إلى الله عز وجل وأن يمنعوني ويؤوني حتى أبلغ عن الله عز وجل ما أرسلني به قال. فقال العباس: يا ابن أخي أمض إلى عكاظ فأنا ماض معك حتى أدلك على منازل الأحياء فبدأ رسول الله ﷺ بثقيف ثم استقرى القبائل في ستة، فلما كان العام المقبل وذلك حين أمر الله تعالى أن يعلن الدعاء لقي الستة أو

(١) البداية والنهاية ٣ /١٣٩.

السبعة نفر الأوسيين والخزرجيين.

وأخرج الطبراني أيضاً مرسلاً عن عروة ﷺ حتى قال: وأتاهم رسول الله ﷺ وأخبرهم خبر الذي اصطفاه الله من نبوته وكرامته وقرأ عليهم القرآن، فلما سمعوا قوله أنصتوا واطمأنت نفوسهم إلى دعوته وعرفوا ما كانوا يسمعون من أهل الكتاب من ذكرهم إياه بصفته وما يدعوهم إليه فصدقوه وآمنوا به وكانوا من أسباب الخير ورجعوا إلى أوطانهم دعاة إلى الإسلام وأخبروهم بأن النبي الذي انتظره العالم طويلاً قد ظهر ولقد سمعنا كلامه بآذاننا ورأيناه بأعيننا فجعل رابطتنا بالله الحي الذي لا يموت وعرفنا حقيقة الدنيا والآخرة، حتى قل دار من دور الأنصار إلا أسلم فيها الناس لا محالة(١).

فلننظر إلى انهماكه ﷺ في تبليغ الدعوة وكيف تحمل من أجلها كل الصعاب والشدائد فكانت هذه هي الأصول الأولية بالنسبة لدعوة النبي لما قبلها الستة نفر رجعوا إلى المدينة مبلغين وأصبحوا من دعاة الإسلام. حتى لم يبق دار من دور المدينة إلا اسلم فيها ناس لا محالة.

فهذه كانت عاطفة الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، عاطفة الدعوة بطريق الجولات، مقتدين بالنبي الكريم ﷺ في تجواله ودعواته، وهكذا قامت الدعوة بواسطة المسلمين كذلك.

إن جهد دعاة الإسلام من أهل المدينة ومجيء ستة أنفر آخرين معهم لبيعته ﷺ

---

(١) رحمة للعالمين.

كان له نتيجتين:

الأولى : أن أرض المدينة أصبح فيها الاستعداد والصلاحية لتقبل الإسلام. *والثانية:* أن هؤلاء الستة نفر جاءوا بستة آخرين معهم في السنة الثانية عشر للبعثة إلى مكة المكرمة لبيعته ﷺ فلما بايعهم ورأى إقبالهم واستعدادهم أرسل معهم مصعباً رضي الله عنه لدعوتهم وتعليمهم الإسلام وقد كان مصعب رضي الله عنه فتى مكة شبابا وجمالاً وسبيباً (أي شعر ناصيته) وكان أبواه يحبانه وكانت أمه مليئة (غنية) كثيرة المال تكسوه أحسن ما يكون من اللباس وارقه وكان أعطر أهل مكة يلبس الحضرمي من النعال فكان رسول الله ﷺ يذكره ويقول: ما رأيت بمكة أحسن لمة ولا أرق حلة ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير. (١) لكنه لما تحصل نور الإيمان وخالطه قلبه بشاشته ترك كل هذا النعيم وذهب إلى المدينة منادياً وداعياً لدين الحق وأخذ يدعو للإسلام وكان عليه ذاك كساء يجمع بين طرفيه بالشوك كراهية أن ترى عورته.

إننا في هذه الأيام نحتاج في الدعوة والتبليغ إلى شيئين أساسيين وهما:

١) الجهد في الأحياء لإقامة البيئة الصالحة أثناء إقامتنا في البيوت.

٢) الجهد لإخراج الناس من بيئتهم إلى بيئة الدعوة والأعمال وأثناء الخروج علينا أن نجتهد لإقامة الناس على التضحية للدين في المناطق التي نذهب إليها، وإخراج القدماء من هذه الأحياء حتى يزيدوا في تضحياتهم فبخروج أهل الفكر والجهد يفتح الله

---

(١) حياة الصحابة ١ /٣٨٣.

سبحانه وتعالى أبواب الهداية والرحمة لأهل العالم.

الجولات العمومية في أحياء المدينة والشورى لها:

عندما وصل مصعب وأسعد بن زرارة إلى المدينة المنورة أخذوا بتعليم من أسلم منهم الإسلام ودعوة من لم يسلم بعد الإسلام أخرج ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وغيره: أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بني عبد الأشهل ودار بني ظفر على بئر يقال له مرق. فجلسا في الحائط واجتمع إليهما رجال ممن أسلم، وسعد بن معاذ وأسيد بن الحضير يومئذ سيدا قومهما من بني عبد الأشهل وكلاهما مشرك على دين قومه. فلما سمعا به قال سعد لأسيد: لا أبا لك. انطلق إلى هذين الرجلين اللذين أتيا دارنا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما وانهما أن يأتيا دارنا فإنه لولا اسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك، هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدما .(١)

مما تقدم يتضح لنا كيف كان أصحاب النبي ﷺ يدعون الناس ويقومون بتبليغ دين الله تعالى:

١) أولاً هم اجتمعوا عند بئر مرق ومن ثم أخذوا يتشاورون فيما بينهم في الطريقة التي سيدعون الناس بها

(١) البداية والنهاية ٣/ ١٥٢.

٢) يتضح من كلام سعد بن معاذ وأسيد بن الحضير أن المسلمين أرادوا الذهاب للأحياء والبيوت المختلفة لدعوة أهلها، حيث قال سعد: فازجرهما وانهما أن يأتيا دارنا، والدار تشمل بيوت القبيلة كلها.

فعن الصحابة الكرام رضي الله عنهم أخذت الجولات في الأحياء والحارات والشورى وأعمال الدعوة في هذا الزمان.

وإنما الفرق الذي بيننا وبينهم، أنهم كانوا يدعون الناس إلى الإسلام وإلى ترك الشرك وعبادة الأصنام ونحن في هذا الزمان ندعو الناس لتعلم الإسلام والعمل به والقيام عليه.

ولكن عدم اشتراك الناس بالعمل بهذا المنهاج والأسلوب هو الظن منهم بأن الدعوة بهذه الكيفية لم تثبت بدليل، إلى أولئك وإلى كل طالب للحق وقائم به نقدم لهم جميعاً هذه القصة ، قصة جولات مصعب ﷺ وما تقدم قبلها من القصص في جولات النبي ﷺ والصحابة الكرام في مختلف الحالات والمواقع.

هذا وقد لمسنا التجربة بأن الجهد بطريق النبي ﷺ سهل وبسيط يستطيع أن يقوم به كل مسلم، كما فعل كل واحد من أصحاب النبي ﷺ فقد كانوا جميعاً دعاة لدين الله تعالى أينما كانوا وحيثما اتجهوا.

والله نسأل أن يهدينا وأن يشرح صدورنا للحق وللعمل به، والسلام على من اتبع الهدى.

إقامــة الديــن

قال الله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (١)

الله ﷻ خلق الإنسان واختاره وكرمه من بين المخلوقات ومنَّ عليه بأن يكون جليسه في الآخرة، ويكون خليفته في الدنيا.

الإنسان يقول: أنا أشرف المخلوقات، ولا يعرف سبب شرافته وكرامته ، لابد للإنسان أن يعرف سبب وجوده .

الله ﷻ لما خلق الأشياء ما أعلن عن خلقها ، ولكن أعلن عن خلق الإنسان قبل أن يخلقه فقال ﷻ :﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (٢) ، فالله ﷻ لا يرضى أن يُعبد غيره ولا يُسجد لأحدٍ سواه ولكن أراد أن يفهم الإنسان مقامه عند الله ﷻ ﴿ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ (٣) .

ما يريد الله ﷻ من الإنسان أن يعيش في هذه الحياة أي حياة، بل يريد من الإنسان أن يعيش الحياة الإنسانية، والمشكلة أن الإنسان يحب أن يعيش بأي ترتيب

---

(١) سورة الروم – الآية ٣٠ .

(٢) سورة صّ – الآيتان ٧١ ، ٧٢ .

(٣) سورة صّ – الآية ٧٣ .

بحياة الأسُد.. بحياة الكلاب.. الخ.

والله ﷻ خلق الدنيا للابتلاء والاختبار قال تعالى ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ (١) . تُختبر هل أنت إنسان أم غير إنسان ؟

فالله ﷻ يريد من الإنسان، أن يعيش الحياة الفطرية؛ ألا وهى الدين قال تعالى ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لايَعْلَمُونَ ﴾ (٢) ويوم القيامة يقول له: ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً ﴾ (٣) لترى مدى التناقض .. والإنسان كثيراً ما يضيع هذه الحياة المختصرة، فتضيع شرافته وكرامته في الدنيا والآخرة .

فحقيقة الدين :

هي الحياة الفطرية للإنسان .. لما قال الله ﷻ: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (٤) قالت الملائكة: ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ أى أن هذا الإنسان ليس أهلاً لهذه الخلافة ، فقال الله ﷻ: ﴿ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ ما جعلت هذه

---

(١) سورة الكهف – الآية ٧ .

(٢) سورة الروم – الآية ٣٠ .

(٣) سورة الإسراء – الآية ١٤ .

(٤) سورة البقرة – الآية ٣٠.

الكرامات إلا لمن كان إنسان عندي .. ولكن منهم في صورة الإنسان، وهو أضل من الحيوان قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (١) .

فالله ﷻ كرم الإنسان الذي يعيش بحياة الإنسان الفطرية (حياة الدين)، والذي لا يعيش الحياة الفطرية ليس إنسان.

والدنيا حياة محدودة، فإذا بقى الإنسان في نطاق الدين فهو إنسان، وإذا خرج من حدود الدين فقد خرج من حدود الإنسانية.

هناك حياة للإنسان وحياة للشيطان، فإن خرج الإنسان من حدود الدين يدخل في الحدود الشيطانية.

والله ﷻ منَّ على الإنسان واختار له رجلاً (النبي) وحفظ حياته من تأثيرات الشيطان.

فالأنبياء عليهم السلام معصومون(أي محفوظون من تأثير الشيطان).

وحياة كل نبي هي الدين، فالنبي يعيش وعنده أشغال، مرة في البيت، ومرة في المسجد، ومرة في السوق، ومرة في الذكر.. قال تعالى ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ

(١) سورة الأعراف – الآية ١٧٩.

رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ﴾[١]

الله ﷻ لا يريد من الإنسان أن ينشغل بالحياة الملائكية وينسى كل شئ .. ولكن يشتغل في كل شئ ولا يشغله شئ .. فالملائكة ليس عندهم شئ فلذلك الدين عليهم سهلاً، ولذلك الإنسان كرم عليهم لأنه عنده الأشياء وما تشغله عن الله ﷻ .. تبقى الأشياء ولا تبقى لك علاقة بشئ بل بالله ﷻ.

الله ﷻ عصر الشيطان مرة واحدة: ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فإنك رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [٢] ولكن الله ﷻ منَّ على الإنسان وفتح له باب التوبة، فإن عصى الله وخرج من الحياة الملائكية ودخل في حياة الشيطانية، فله أن يتوب ويرجع إلى الحياة الملائكية.

ولكن كيف الرجوع ؟ !

فى بعض البلاد أخرجوا المسلمين من ديارهم ، فلإسكان اللاجئين (دائرة لإسكانهم تسمى وكالة غوث للاجئين) فكذلك إذا أخرج الشيطان الإنسان من الحياة الفطرية (الدين) إلى الحياة الشيطانية ولكي يرجع هناك دائرة تسمى (الدعوة والتبليغ

(١) سورة الأنعام – الآية ٩.

(٢) سورة صّ – الآيات ٧٥: ٧٨.

) حتى يسكن مرة ثانية في الجنة.

والله ﷻ وكل هذا النظام إلى الأنبياء والرسل عليهم السلام، وإلى أتباعهم، والله ﷻ رتب لهم نظام لإقامة الدين.. ولكن المشكلة في هذا الزمن نريد الدين، ولا نريد أن نمشى على الطريقة التي رتبها الله ﷻ لإقامة الدين فهناك قسمان لإقامة الدين :

القسم الأساسي الأصلي للدين :

وهو الإيمان بالله، وجميع العبادات، والمعاملات، والمعاشرات، والأخلاق، ويتبع هذا القسم.

القسم الثاني الفرعي : ويسمى التعزيرات والحدود والجهاد .

والله ﷻ جعل القسم الأول، على كل مسلم ومسلمة، دون استثناء وهو دين لذاته ولنفسه، أما القسم الثاني على المسلمين لأجل الفساق والفجار والكفار .

والترتيب والنظام عند الله.. إذا أقمتم القسم الأساسي الأول فيما بينكم، فإقامة الثاني عليَّ، وليس عليكم، أنا أمكنكم في الأرض.

نحن نريد القسم الثاني قبل الأول .. وهذا لا يكون ، قال تعالى ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ

الْفَاسِقُونَ ﴾ [١] فالخلافة موعودة من الله ﷻ بشرط الإيمان مثال: الطالب الذي قال له والده: إن نجحت أعطيك كذا وكذا.. فإذا ترك الطالب الدراسة وأخذ يلعب، فهل يفرح والده به ويعطيه الذي وعده ؟ طبعاً لا .

ونحن نجتهد في طلب الخلافة ليل نهار، ونقع في المشاكل والمصائب، وأهل الباطل يضربوننا، لأننا خالفنا المنهج الذي وضعه الله ﷻ.

في عام ١٩٥٤ كنا خارجين في سبيل الله ﷻ في حماة (مدينة مشهورة في سورية) وكان هناك في المسجد عالم كبير يحاضر في المسجد ، وكان عنده حماسة قوية للدين ، فذكر لنا ما يذكر الناس.. علينا أن نقيم الدولة الإسلامية، وأثناء كلامه قال: ولكن الشيخ الباكستاني يقول غير ذلك، فقلت له اسمع: بوجود الدين وجدت الخلافة.. وبضعف الدين ضعفت الخلافة.. وبعدم الدين عدمت الخلافة.. فإذا كنتم تريدون الخلافة الإسلامية حقاً فعليكم بإقامة الدين.. بالضبط مثل القصر، فالله ﷻ جعل أمر الأساس والجدران علينا، والسقف عليه ﷻ، ونحن نقول: ما نريد أساس ولا جدران ، ونريد السقف، فيوضع السقف فيقع على رؤوسنا.

أساس الدعوة جهد النبي ﷺ ، اجتهد على قلوب أصحابه حتى صار الإيمان في قلوبهم مثل الجبال، وهو الأساس والجدران – من عبادات ومعاملات ومعاشرات وأخلاق – الذي أسسه النبي ﷺ، والسقف موعود بل مشروط بوجود الأساس

---

(١) سورة النور – الآية ٥٥.

والجدران .

فالله ﷻ قال للأنبياء من طريق الدعوة أقيموا الدين أولاً ثم تأتى الخلافة، والله ﷻ بين في القرآن الكريم ما حدث لبنى إسرائيل، ليوضح لنا الطريق، فبنى إسرائيل كانوا في ضعف ومصيبة عظيمة، الذكور تقتل، والنساء تستخدم، فكيف خرجوا من هذا البلاء ؟ هم ما شكلوا جمعية أو تكلموا مع حكومة خارجية، أو بذلوا الأموال، أو جمعوا السلاح.. إنما خرجوا من طريق الدعوة إلى الله ﷻ ، كما بين الله ﷻ في كتابه: ﴿ طسم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ (١) وما فعل الله ﷻ ذلك معهم إلا بعد أن بعث فيهم داعي إلي الله (سيدنا موسى عليه السلام) أرجعهم إلى حياة الإنسانية .

فلما ذهب موسى وهارون (عليهما السلام) إلى فرعون، قال الله ﷻ لهما ﴿ قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ (٢) أي أن معية الله ﷻ مع موسى وهارون (عليهما السلام) فقط، ولكن لما رجع بنو إسرائيل إلى حياة الدين، رجع لهم الأمر، هنا

(١) سورة القصص – الآيات ١: ٦.

(٢) سورة طه – الآية ٤٦ .

قال الله ﷻ ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾[1].

فالمقصود أن الله ﷻ رتب النظام لحياة الأنبياء، فإن أقاموا القسم الأول من طريق الدعوة إلى الله ﷻ، يعطيهم الله ﷻ القسم الثاني ﴿ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [2] .

نحن نريد إقامة الدين ، فإن أعطيتنا الخلافة، نحن نقيم الدين، فيقول الله ﷻ ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [3] يعنى إذا كانت الخلافة قبل التربية، يحدث الفساد فى الأرض.

جميع الأمم السابقة كانوا يغلبون على أعدائهم بنصرة الله ﷻ، وكان بين الأمم الدينية وبين الله ﷻ نبيهم، ولكن لما ختم الله ﷻ النبوة بسيدنا محمد ﷺ، منَّ على الأمة بأن نقل إليها عمل نبيها، وجعل أمر إقامة الدين إلى الأمة، وجعل لهم

(١) سورة المائدة – الآية ١٢.

(٢) سورة الصف – الآية ١٣.

(٣) سورة محمد – الآية ٢٢.

النصرة مثل الأنبياء عليهم السلام، واستجابة الدعاء مثل الأنبياء.

لو سألت إنسان عن وظيفته، ماذا يقول ؟

إما يقول وظيفتي الأكل والشرب، ولو قال ذلك، يقال هذا غير عاقل، لأن الأكل والشرب من لوازم الحياة للجسد، وكذلك العبادات والفرائض والأحكام من لوزام الحياة للروح.

فما هي وظيفة الأمة المسلمة؟

وظيفة هذه الأمة وظيفة الأنبياء.. وهى نقل هذه الوظيفة لكل مسلم.. المسلم يقول: الشركة، الوظيفة .. ، يشتغل ويعمل في أشياء صغيرة ويسميها وظيفة.. ولكن وظيفة الأنبياء، يقول هذه وظيفة ؟! والله ﷻ لا يريدنا إلا لهذا العمل.

الصحابة كانوا يقولون :

موتنا وحياتنا لهذه الوظيفة.. ونحن نقول: هذه ليست وظيفة.. كل الأمم السابقة الله ﷻ أعطاهم طريق الخدمة، فجميع الوظائف المخلوقة للكفار والمشركين، وجعل معيته مع أتباع الأنبياء إذا اجتهدوا للحصول على المعية الإلهية، وبالمعية الإلهية يغلبوا على الكفار بدون الوسائل، فسيدنا موسى عليه السلام غلب على فرعون بدون الوسائل.. ولما فتح سعد بن أبى وقاص المدائن وجاءت الأموال تحت

أقدامه .

فالصحابة (رضي الله عنهم أجمعين) كان عندهم ارتقاء عظيم، كانوا يأمرون البحار والأنهار والأسد والنيران.. يقول أحدهم: أنا آمرك بكذا.. أنا خليفة الله ﷻ في الأرض.

فنحن نريد أن نَخرج ونُخرج الناس، إلى وظيفتنا الأساسية.

فإذا قمنا على الدعوة وجاء الدين في حياة الأمة، فالله ﷻ يأتي بما وعد، ليس المقصود خدمة الدين.. بل المقصود خدمة الدين ونشر الدين، والتضحية للدين على نهج الأنبياء.

لا تتغير الحياة الاجتماعية؛ إلا بتغيير الحياة النفسية الذاتية، البعض يريد التغيير عن طريق الحكومات والسلطان وهذا غير صحيح، يقول الله ﷻ :﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾ (١).

فإذا حصلنا على حياة الإيمان والدين، وظهرت في مجتمعنا، فالله ﷻ يكون معنا، في السماء معنا، في الأرض معنا، والدنيا لنا والآخرة لنا، والجنة لنا..

(١) سورة الرعد – الآية ١١.

فالمقصد من هذا العمل أن نمشي على الطريق الذي وضعه الله ﷻ وعلمه لنا سيدنا محمد ﷺ، فالصحابة رضي عنهم أجمعين جاء في قلوبهم هذا الدين عن طريق التضحيات: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١) (٢) .

* * * * *

(١) سورة النحل – الآية ١٢٣.

(٢) محاضرة ألقاها الشيخ الأنصاري بمسجد الدعوة بهاو لبور– باكستان – في يوم ١٩٨٧/١١/٧ .

المعيـــة الإلهيـــــة

قال تعالى ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أمة أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١) .

كان المسلم داعيا إلى الله ﷻ، ولكن ترك وظيفته، حتى نسى أنه ناسي، كانت الأمة المسلمة التي نحن منها، تحمل الحياة في زمن ما، وليس ذلك بحسب ، بل كانت تطوف البلاد لإحياء تلك الحياة في الإنسانية كلها .

الله ﷻ أرسل كل نبى بدين، ثم أعطى كل نبي جهداً لإحياء ذلك الدين في الإنسانية، والجهد الذي يقوم به النبي لإحياء الدين في الإنسانية يسمى " التبليغ والدعوة ".

ماذا يقول الأنبياء ؟

يقولون : ﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ (٢) المسلمون يحبون أن يحيى الدين، ولكن كيف يحيى الدين ؟

الناس يبدون آراءهم ويتبعون أهواءهم.. لكن الدين من الله ﷻ والجهد لإحياء

---

(١) سورة آل عمران – الآية ١١٠.

(٢) سورة نوح – الآية ٣.

الدين من الله ﷻ.. إحياء الدين أسهل إذا كان على طريق النبي ﷺ . . لا يخفى علينا خصوصيات الأمة .

ما الفرق الذي بين الأنبياء السابقين (عليهم السلام) وبين نبينا محمد ﷺ ؟

أن الأنبياء السابقين انتقلت حياتهم إلى أممهم.. ولكن النبي ﷺ نقل حياته إلى أمته، وكذلك نقل إليهم الجهد لإحياء تلك الحياة.

والحياة (الدين الذي جاء به النبي ﷺ علي أربع أجزاء :

(١) **المقصد** : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (١) .

(٢) **الجهد** : لإحياء حياة العبودية في الناس .

(٣) **الطريق** : طريقة الجهد هي حياة النبي ﷺ خلال ٢٣ سنة: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخر وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ (٢) .

(٤) **النتيجة أو الثمرة** : فالنبي ﷺ أعطى لأمته هذه الأشياء الأربعة فلما اكتملت قال لهم: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِيناً ﴾ (٣) .

---

(١) سورة الذريات – الآية ٥٦.

(٢) سورة الأحزاب – الآية ٢١.

(٣) سورة المائدة – الآية ٣.

ما هو مقصد حياة الإنسان ؟ !

وما هو الجهد لتحصيل ذلك المقصد ؟!

وما هو الطريق لإيصال ذلك الجهد ؟!

وما هو الشيء الذي نتحصل عليه بوجود هذه الأشياء ؟!

مقصد حياة الإنسان :

أن يرضى الله ﷻ عنه ويكون معه (أي نصرة الله تكون معه) ثم النصرة والمدد وظهور البركات.. وهذه الثمرات والنتائج تدل على أن الله ﷻ معهم.

المسائل المنتشرة لا نجعلها مسائل.. المسألة الكبرى هي معية الله ﷻ وليست معنا في ذلك الوقت.

جميع الأنبياء عليهم السلام اجتهدوا، وفهموا الناس أن الحياة الدنيا.. قصيرة.. فانية.. زائلة.

للإنسان ثلاث مراحل :

(١) الدنيا . (٢) القبر . (٣) الجنة أو النار .

الدنيا دار بلاء وانقطاع.. والإنسان جاء ليبتلى فيفوز.. قال تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ [١] .

(١) سورة الملك – الآية ٢.

الدنيا ممر وليست مستقر.. الدنيا مثل السكن للطلبة، فالطلبة يأتون من أماكن مختلفة إلى الجامعة، ثم يسكنون لمدة أربع سنوات ثم يفزن بالامتحان، ثم يرجعون إلى أهليهم. . وكذلك يُمتحن الإنسان كيف قضى حياته ؟

وأرسل الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ليخبروا الناس عن حياة الإنسان.. يعنى أنت إنسان، على صور إنسان.. فإذا كانت الحياة على منهج الأنبياء، فمعناه: أنت فائز في الدنيا والآخرة، ولك دار القرار، ألا وهى الجنة.

وإن لم تكن حياته علي حياة النبي ﷺ، فقد خاب وخسر ورسب في الدنيا، أما في الآخرة فله محل آخر، ألا وهى نار جهنم.. فذالك هو الخسران المبين .

يقول بعض الناس : لعل الله يُمنى الإنسان بالجنة وليس كذلك.. بل الجنة حق والنار حق.. الجنة محل رضاء الله ﷻ.. دار الكرامة.. دار النعيم.. دار الفلاح.. حقيقة وليست خيال وتخيل .

ليس المقصود أن يكون الإنسان كالملك.. ولا يكون كالحيوان.. بل بين ذلك قواما.. إن قام على طريق الأنبياء، فهو إنسان وإن حاد فهو حيوان.

فالإنسان جاء للانتقال، ينتقل من محل إلى محل، وينتقل إما فائز وإما خاسر، فإن كان فائزاً يُبشر بروح وريحان وربٍ راضٍ غير غضبان .

﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

[١] فيها مالا عين رأت.. ولا أذن سمعت.. ولا خطر على قلب بشر، قال تعالى ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخرةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ [٢] والاشتهاء بدون كد ونصب وتعب.. يحضر بين يديه، قال تعالى: ﴿ سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [٣] .

وما سعتها؟ لا يعمله إلا الله ﷻ ، ولكن أُخبرنا عن أدنى أهل الجنة منزلة، يقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلك مَلك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله، فيقول في الخامسة رضيت رب، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك، ولذت عينك. فيقول: رضيت رب. قال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها، فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر رواه مُسْلِمٌ[٤].

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ: إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة: رجل يخرج من النار حبواً فيقول اللَّه عز وجل له: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى. فيقول اللَّه عز وجل له: اذهب فادخل الجنة،

---

(١) سورة السجدة – الآية ١٧ .

(٢) سورة فصلت – الآية ٣١ .

(٣) سورة الرعد – الآية ٢٤ .

(٤) رياض الصالحين – باب بيان ما أعد اللَّه تعالى للمؤمنين في الجنة .

فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى، فيقول اللَّه عز وجل له: اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو إن لك مثل عشرة أمثال الدنيا، فيقول: أتسخر بي أو تضحك بي وأنت الملك قال: فلقد رأيت رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ ضحك حتى بدت نواجذه فكان يقول: ذلك أدني أهل الجنة منزلة متفق عَلَيْهِ(١).

وأما الذي خاب وخسر فله محل آخر (جهنم).. يتجرعون ماء الصديد(٢).. هذا شرابهم.. وطعامهم من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع(٣).. يقطع أمعاءهم وتخرج الأمعاء من الأدبار، والعقارب والحيات مثل البغال وليس كما نرى في الدنيا.

وأُخبرنا أن الإنسان في جهنم يتبدل جلده ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ (٤) وهذا إلى أبد الآباد، وهلم جرا إلى مالا نهاية.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) قال تعالى: {مِّن وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِن مَّاء صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ }سورة إبراهيم الايتان ١٦ ، ١٧.

وقال تعالى: {وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا}سورة الكهف الآية ٢٩.

(٣) قال تعالى:{لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ * لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ }سورة الغاشية الآيتان ٦،٧.

(٤) سورة النساء – الآية ٥٦.

ولهذا أخبرنا بالتفصيل عن الحياتين (الجنة ..النار) . فلابد من معرفة المقصد.. ليس لنا مقصد في هذه الدنيا إلى أن يرضى الله ﷻ عنا ويكون معنا ، لذا نجتهد حتى يتعلق القلب بالله ﷻ ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) الصلاة.. الصيام.. الحياة.. الممات.. مقصدها واحد وهو رضاء الله ﷻ .

والعبودية: هي أن ينقطع القلب عن غير الله ﷻ ويثق به، ولا يتوجه في جميع الأحوال إلا إلى الله ﷻ.

فعندما يكون القلب مملوءً بعظمة الله ﷻ ، فلا يتوجه إلى أي باب، إلا إلى باب الله ﷻ .. **لا إله إلا الله** ..

الإلـه: ما يُلهينا عن غيره، وتألهه القلوب وتُحبه وتعظمه.

ماذا يقول الكفار ؟

يقولون: ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾(٢) فدعوة الأنبياء.. أن يدخل في القلب محبة الله ﷻ وعظمة الله ﷻ، وأن يخرج منه غير الله ﷻ

(١) سورة الأنعام – الآية ١٦٢.

(٢) سورة صّ – الآية ٥.

نهائياً، فيصونوا القلب عن الخلائق: ﴿ حَنِيفاً مُسْلِماً ﴾ (١) مائلاً إلى الله عن غيره .

ولكن هذا الشئ صعب.. كيف يعلم أنه لله ﷻ أم لغيره ؟ الله ﷻ أعطانا الميزان " التضحية " وبهذا الميزان يفهم الإنسان هل قلبه مشغول بالله أم بغيره.. نحن فهمنا أن التضحية بذبح البقرة والشاة.. ولكن التضحية أن تكون مستعد أن تضحى بمالك ونفسك من أجل الله ﷻ وليتضح الأمر أبين ما بينه الله ﷻ في القرآن الكريم عن سيدنا إبراهيم عليه السلام.. هل يميل إبراهيم عليه السلام إلى قبيلته وقومه أم إلى الملائكة؟

لما أخذوه وأجمعوا أن يلقوه في النار، وجمعوا الحطب ودبروا فالله ﷻ أتى بشيئين :

النظام الظاهري: القوم والقبيلة والحكومة والكون كله.. مخالف لإبراهيم عليه السلام حتى والده.

والنظام الغيبي: نظام السماء موافقاً لسيدنا إبراهيم عليه السلام فنزلت الملائكة.. ونزل جبريل عليه السلام .. وملك الرياح .. وملك المياة .. الخ وعرضوا على إبراهيم عليه السلام النصرة، فلم يتأثر إبراهيم عليه السلام من الموافقة أو المخالفة بل قلبه يتوجه إلى الله ﷻ: ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (٢) اليقين دخل في القلب أن هذه الأشياء الظاهرية ليست شئ.. في حالة اضطرارية ولكن ما توجه إلى الملائكة.. وما توجه إلى قومه ولكن توجه إلى الله ﷻ .

---

(١) سورة آل عمران – الآية ٦٧.

(٢) سورة آل عمران – الآية ١٧٣.

ولا يستطيع أن يقول هذا القول، إلا من كان في قلبه حقيقة الإيمان، وبهذه القصة الله ﷻ يخبرنا لو تقومون بهذا الطريق؛ تجدونني معكم في كل مكان.

ولكن الشيطان – لعنه الله – يوسوس في قلب الإنسان.. هو كان نبياً أين نحن من الأنبياء.. نحن فقط نمدحهم، ونبين قصصهم، نحن لا نستطيع أن نقتدى بهم، ولكن الله ﷻ يقول عكس ذلك قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١) .

ويؤتى يوم القيامة بالأنبياء شهداء.. حجة على الإنسانية كلها، قال تعالى ﴿ رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾ (٢) .

نحن امتثلنا أوامر الله ﷻ وهؤلاء ما فصلوا أن يخرجوا من شهواتهم بل كانوا مصرين على شهواتهم ، فخسروا خسراناً مبيناً .

ونحن ما فصلنا بعد أن نغير حياتنا لحياة الأنبياء عليهم السلام، ونطمئن بهذا القول: هم كانوا أنبياء ولسنا أنبياء، وما يأتي الأنبياء إلا لنقتدي بهم ونتبعهم.. ونحن فينا الاستعداد ولكن بدون العزم لا نقوم.

---

(١) سورة آل عمران – الآية ٣١.

(٢) سورة النساء – الآية ١٦٥.

وكأن الإنسان يقول ما جاء به النبي ﷺ من الأخلاق الحسنة والسيرة الحسنة والحياة الطيبة، نحن لا نستطيع أن نقوم به.. نتبع شهواتنا، فهذا الإنسان يخسر في الدنيا والآخرة.. فإن لم يكن الإنسان مضحياً لله ﷻ لا يدخل الإيمان، وإن دخل لا يدرك حقيقة الإيمان .

والله ﷻ سهل لنا الأمر.. كيف ذلك ؟ فالصحابة رضي الله عنهم أجمعين لما قاموا على الدعوة وصلوا إلى حقيقة الإيمان.. فإذا قمنا على الدعوة.. الله ﷻ يشرح صدورنا وينور قلوبنا بنور الإيمان فنستطيع أن نحيي أوامر الله ﷻ.

العبودية على جزءين :

أن تسلم قلبك لله ﷻ.. وجسدك لأوامر الله ﷻ.. وتكون حياتك طوال أربعة وعشرين ساعة على أوامر الله ﷻ في: المأكل، والمشرب، والمنكح، والمتجر، والمزرعة.. الخ .. ويكون يقيننا على أن الله هو الفاعل الحقيقي وهو النافع الضار، فالقلب لله والجسد لأوامر الله ﷻ فبذلك تنزل نصرة الله .. فليس من الصعب أن يكون الله معنا، ولكن لا تأتى نصرته مع حياة شيطانية.

المسلم يقول أنا أصلى وأصوم وأزكى وأحج ولكن.. أما الحياة الأخرى من طعام ولباس وتجارة وصناعة.. هذه الأشياء لا أقبل التدخل فيها.. نحن فيها أحرار.. ولكن الله ﷻ يقول: ﴿ ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [1] نصف في الداخل ، ونصف في

(١) سورة البقرة – الآية ٢٠٨.

الخارج.. الله ﷻ لا يقبل هذه الحياة.

فالله ﷻ فصل.. إذا لم تكن الحياة على حياة نبيه ﷺ لم تنزل نصرة الله ﷻ.. والأمة تقول هذا صعب.. هذا مشكلة.

لم تنزل نصرة الله ﷻ بمجرد بعثة الأنبياء عليهم السلام، بل يجتهدون سنين، جهد مستمر، لتحيى حياة الأنبياء عليهم السلام في نفوس الأمة، ليس إحياء العبادات فقط، بل جميع الحياة تكون تابعة لأوامر الله ﷻ.

قالت بنو إسرائيل لسيدنا موسى عليه السلام: ﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأرض فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (١) فليس بمجرد البعثة الله ﷻ يغير الأحوال، ولكن لما تأتى حياة الأنبياء فيهم تنزل عليهم نصرة الله ﷻ

فسيدنا موسى عليه السلام أمرهم بالاستعانة بالله ﷻ والصبر والجهد لتغيير حياتهم ولما تغيرت حياتهم وصلح يقينهم تغيرت الأحوال.

ولما أرسل الله ﷻ سيدنا موسى وهارون إلى فرعون ليدعوه إلى الله ﷻ فقال فرعون مستهزئا: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ (٢)

---

(١) سورة الأعراف – الآية ١٢٩.

(٢) سورة الشعراء – الآية ١٨ .

فنبهه موسى عليه السلام الآن وقت المهلة انتهى وتعاقب عقاباً شديداً.

ومتى يأتي هذا الوقت ؟

لما تتصور الأمة في صورة الأنبياء (عليهم السلام) تنزل عليهم نصرة الله عز وجل.

فالمقصد: أن نضحي بكل شئ من أجل رضاء الله سبحانه وتعالى، ولا نضحي بمقصدنا من أجل أي شيء.

لا ينزل نبي الميدان إلا ومعه نصرة الله عز وجل.. وما كانوا يرفعون أقدامهم من أول يوم إلا ومعهم نصرة الله جل جلاله .

الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم رضي الله عنهم، كانوا يقومون أمام أعداء الله سبحانه وتعالى.. والحقيقة أن الله كان معهم وكأن المقابلة بين أعداء الإسلام ، وبين الله عز وجل، كما بين الهرمزان .

لما قال الله سبحانه وتعالى لسيدنا موسى عليه السلام: ﴿ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [1] قال موسى عليه السلام: (أخاف أن يقتلون) قال تعالى :﴿ قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴾[2] فقال تعالى :﴿ قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ

(١) سورة طه – الآية ٢٤ .

(٢) سورة طه – الآية ٤٥.

وَأَرَى ﴾ [١] ، إن مد يده تقطع.. وإن مد رجله تكسر، ﴿ وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٢] فنصر الله ﷻ مع الطائفة التي تسير على منهج الأنبياء عليهم السلام.

لما مات النبي ﷺ حزن أصحابه رضي الله عنهم .. ولكن أبو بكر فهم أنه طالما أن حياة النبي فيهم فمعهم نصرة الله ﷻ وقال قولته المشهورة.. من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت .. فكانت الأمة حاملة لحياة النبي ﷺ، ومأمورة بنشر هذه الحياة في الإنسانية كلها.

فمتى تكون نصرة الله معنا ؟

لما تأتى فينا العبودية الحقيقة، ثم نقوم بنشر العبودية في العالم.

فكيف ندخل فينا صفة العبودية؟ وكيف نصبح إنسانا، بعد أن خرجنا من حياة الإنسانية..؟

فالله ﷻ عين لنا الطريق: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [٣] فالله حصر أنه طريق واحد " سَبِيلِي " أي الدعوة وما قال طرق مختلفة.

---

(١) سورة طه – الآية ٤٦.

(٢) سورة الروم – الآية ٤٧.

(٣) سورة يوسف – الآية ١٠٨.

يشهد تاريخ العالم، أن جميع الأمم السابقة من نوح إلى نبينا ﷺ، ما دخلت في حياة العبودية إلا بجهد الأنبياء، أي بطريق الدعوة إلى الله ﷻ، ليس هناك طريق آخر حتى ترجع الإنسانية إلى صفات الإنسانية.. إلى صفات الإيمان.. إلى العبودية.. إلى المعاملات الإسلامية.. إلى المعاشرات الإسلامية.. إلى الأخلاق الحسنة.. إلا بالدعوة إلى الله ﷻ.

فإذا ظهرت هذه الصفات تنزل البركات من الأرض والسماء، والله ﷻ يدمر جميع الجبابرة، مثل النمرود، شداد، قيصر، كسرى، فرعون، أبو جهل .. الخ.

كل المواطن تشهد أن الله كان معهم سواء في بدر أو في حنين أو القادسية أو اليرموك .. الخ .

ولما استخلفهم الله ﷻ علي الأمم السابقة كانت شهادة على أن الله مع هذه الطائفة.

والله ﷻ ما استخلفهم إلا بطريق خاص، وذلك بعد أن اتصفوا بصفات الإيمان فرضي الله عنهم فاستخلفهم في الدنيا وأعطاهم نعيم الآخرة.

ولكن الآن انطمس الأمر، يريدون الاستخلاف بدون حياة الدين.. وقد علمنا كما سبق أن الأساس الذي ينبني عليه هذا الأمر هو معية الله ﷻ.

الشيخ إلياس (رحمه الله) عرض على الأمة إحياء حياة الأنبياء.. وبين أن كل نبي ما كان يُحمِّل أمته الأمانة ثم تنهى حياته ويأتي نبيا آخر: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ﴾

(١) ولما جاء النبي ﷺ أُمر أن يُحمِّل الأمانة على أعناق الأمة .

ثلاثة عشر سنة في مكة ما نزل غير الدعوة.. للتمرين يضربون، يشتمون، يجرون في الأسواق، يضربون بالأحجار والسياط.. يوضعون في النار.. ولكن صبر.. صدق.. يتعلمون الدعوة إلى الله ﷻ .

الآن صفات غير موجودة، والشيطان ينفخ ويقول : أنتم أعلم الناس(٢)، الشيطان أخفى عنا صفات الإيمان.. يقام في الرمضاء طوال النهار؛ حتى يرتد سخطة لدينه، ولكن الإيمان خالط بشاشة القلوب .

فهذه الأمة تختلف عن الأمم السابقة، لأنها مسئولة عن حياة النبي ﷺ وإحيائها في العالم.. وترسخ في قلوبهم، أنهم مسئولون عن العالم ، بل الكفرة علموا أن هؤلاء دعاة إلى الله ﷻ.

ولذلك لما قهر المسلمون قيصر وكسرى بفئة قليلة وأظهر الله ﷻ قدرته اجتمع زعماؤهم يتفكرون كيف هم يغلبون علينا ؟ ليس عددهم مثل عددنا، وليس سلاحهم مثل سلاحنا.. لماذا ينتصرون علينا ؟ قال رهبانهم: ماداموا على حياة نبيهم لا يقهرهم

---

(١) سورة المؤمنون – الآية ٤٤ .

(٢) كما جاء فى الحديث " ليأتين على الناس زمان يتعلمون فيه القرآن ويقرؤونه فيقولون : قد قرأنا القرآن ، وقد علمنا ، فمن أقرأ منا ؟ ومن أفقه منا ؟ ثم التفت إلى أصحابه فقال هل فى أولئك خير ؟ " قالوا : لا قال ﷺ : أولئك منكم من هذه الأمة ، وأولئك هم وقود النار " رواه أبو يعلى والبزار عن العباس بن عبد المطلب (سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد – ١٠ / ٥٠٧) .

أحد، ولا يغلبهم أحدهم، رسل.. رسل الله، بل هم رسل لرسالة رسول الله ﷺ [١].

قالوا: نرغبهم في الدنيا بالمال والنساء.. وأرسلوا جواريهم ونساءهم وفتحوا دكاكينهم.. ولكنهم مؤمنين كل واحد منهم يذكر قول الله ﷻ: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [٢] وأخذ خالد بن الوليد يقرأ الآية الكريمة فالأبصار خشعت فلم يروا شيئاً من أشياء البلدة، فكيف يضلهم الشيطان. فكان الكفار يعلمون أن هذه الأمة على مقصدها لا يغلبها أحد .. ما دامت فيهم حياة نبيهم.

ولكن الآن منا من يميل إلى الأمر، ولكن البنيان والأساس مفقود، وهو الدعوة إلى الله ﷻ.. وحتى تميل النفوس والطبائع للأمر الأساسي، فنحتاج إلى صفات الإيمان والتضحيات بالنفس والمال.

الله ﷻ أعطى هذه الأمة مقصد البعثة لأن نبيهم خاتم الأنبياء والمرسلين عليهم السلام.

ولكن المسلم اليوم بسبب ترك هذا الجهد، يقول: ما هذا الجهد ؟

والله ﷻ يقول هذا جهدكم:﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ

---

(١) انظر باب إيمان الجند سبيل النصر – من كتابنا " كلمات مضيئة في الدعوة إلى الله ﷻ ".

(٢) سورة النور – الآية ٣٠ .

أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[١] فبسبب مرور الزمن نسى المؤمن أو تناسى .. بل نسى أنه ناسٍ .. أنه كان داعياً إلى الله ﷻ: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أمة أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[٢] لإعلاء كلمة الله ﷻ ، أخرجوا من بيوتكم وأشغالكم لمنفعة الناس.. ولم تعط أي أمة هذا الجهد.. فهذا افتخارنا وشرفنا بين الأمم فلذا نبدأ بما بدأ به النبي ﷺ.

الناس يسألون .. ماذا تريدون من التبليغ ؟

نقول لهم: لترجع الأمة إلى ترتيب النبي ﷺ .

الخلافة : وهى النيابة عن الله، فكيف يكون نائباً وربه غضبان عليه ؟

كانت الأمة حاملة للحياة.. والآن لا نجد ٥ % يقول هذا جهد المسلم وفى أول الأمة لا تجد ١% يقول هذا ليس جهدي.

فهذا الجهد لتعود الأمة إلى سفارتها.. فكان كل مسلم سفير.. ولو لم يكن هذا لخيرنا إن شئتم فعلتم ولكم الأجر، وإن لم تفعلوا ليس لكم أجر لكان الأمر سهل.. بل هي مسئولية كبرى.. فكلمة الناس تعبر عن الإنسانية كلها.

كل نبي أتى لقوم مخصوص في زمن مخصوص، ولكن رسالة النبي محمد ﷺ

---

(١) سورة يوسف – الآية ١٠٨ .

(٢) سورة آل عمران – الآية ١١٠ .

للإنسانية كلها.. فهو نبي الزمان.. ونبي المكان.. ونبي العالمين .. ونبي الإنسانية كلها.. العالم كله تحت جهده.

جاهد رسول الله ﷺ في الله حق جهاده، وبعد ثلاثة وعشرين سنة أصبحت أمته نائبة عنه.

وما وعد الله لهذه الأمة من النصرة والبركات والتأييدات، فهو على نيابة النبي ﷺ: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أمة وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾ [1] لتشهدوا على الإنسانية كلها.. فنحن نُسأل هل بلغنا هذه الرسالة للناس أم لا ؟

والمسئولية عظيمة على أعناقنا إن قمنا بهذا الجهد.. والنبي ﷺ يشهد للسابقين أنهم بلغوا ويشهد على الآخرين أنهم لم يبلغوا وفرقوا المقصد.. فهذا مقصده الزراعة.. وهذا مقصده التجارة.. الخ وإذا قمنا بهذه المسئولية.. نأتي يوم القيامة ونورنا مثل نور الأنبياء عليهم السلام.

يقول الناس : لو خرج الناس كلهم لهذا الجهد، فمن للمصانع، ومن للمتاجر ومن للمستشفيات، ومن لزراعة الأرض ؟

وعندما ذهبنا إلى مصر سألني أهلها نفس السؤال، قلت لهم تريدون الجواب العقلي أم الجواب النقلي من الرواية عن الله ورسوله ؟

---

(١) سورة البقرة – الآية ١٤٣ .

قالوا: نريد الجواب العقلي.

قلت: رئيسكم جمال عبد الناصر.. أين يحرث ؟ وأين الدكان الذي يتجر فيه ؟

قالوا: هذا رئيس الدولة لا يحتاج لهذه الأشياء الدنيئة.

قلت : فالله يقول لكم ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أمة أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [1] أنتم نواب ورؤساء العالم بعد نبيكم وهذه الأعمال الدنيئة لا تناسب شأنكم .

لما ترك أصحاب النبي ﷺ أشغالهم وخرجوا للدين، فماذا فعل الله معهم ؟ سخر الله ﷻ جميع الخلائق تحت أقدامهم.. ولكن الكفرة اجتهدوا في نفوس المسلمين، وردوهم عن الجهد والسيادة والقيادة، إلى الأشياء الدنيئة فقعد المسلم.

ما هو الترقي ؟

الترقي: كانت الملائكة تنزل عليهم والرياح تسخر لهم.. والبحار تسخر لهم.. والنيران تسخر لهم.. بحركتهم كانت تتحرك العوالم.. فترقى الإنسان ليس في الأشياء بل في حياة الأنبياء عليهم السلام.

فإذا قامت هذه الأمة على مقصدها فكل شئ يسخر لهم.. الناس يقولون: كانوا صحابة فماذا نفعل ؟

---

(١) سورة آل عمران – الآية ١١٠.

بل نقول: كانوا عبدة الأحجار والأصنام، ولما أصبحوا على طريق النبي ﷺ، فازوا لأنهم عزموا.

فمن يقول: الذي يأتي بعدهم لا يستطيع أن يفعل مثلهم .

نقول له: بل تريد أن تقول لا أستطيع أن أترك الأشياء الدنيئة لتاج العزة .

الصحابة رضي الله عنهم أجمعين لما ضحوا بأشغالهم، فما كانوا يرفعون أقدامهم إلا ومعهم نصرة الله ﷻ .

الآن يريد الإسلام، فإذا ضر بدنياه يقول: التبليغ صعب، نحن مقصرين .

فأول شئ هو ترتيب النبي ﷺ.. الدعوة إلى الله ﷻ.. نحن نريد النور والكهرباء موجودة والسلك موجود واللمبة موجودة ولكن بدون المصدر (المحول) لا يكون النور.

فنفرغ الوقت ونضحي بالنفس والمال لجهد الدعوة إلى الله ﷻ ونقوم به كما قام به أولنا:" لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح أولها ".

عندما تقومون بالجهد.. ترون كيف العالم يتغير.. كما تغير في عهد النبي ﷺ.. يخرج ليقتل النبي ﷺ ولكن بالدعوة يتغير ويدخل في الإسلام وينور قلبه بالإيمان.

نحن بحاجة لتقوم طائفة تضحى بحوائجها وشهواتها لإقامة هذا الجهد، كما كانت التضحية فى أصحاب النبي ﷺ.

إيمان الصحابة رضي الله عنهم كان قوياً لأنهم يرون النبي ﷺ والوحي ينزل عليه.. ولكن نحن بيننا وبينه أربعة عشر قرناً، فنحتاج إلى الجهد أكثر ليتقوى الإيمان.

الآن يتكلم مع الزوجة.. ولكن كلمة واحدة من الزوجة تطفئ عاطفته.. فنحن لا نبلغ المسلمين فقط.. بل نجتهد لنتحصل على الصفات ويأتي فينا الاستعداد لتبليغ الكفار، ونقول لهم: كونوا مثلنا، أما الآن فنقول: لا إله إلا الله، ونفعل ما يأتي في نفوسنا.

في بدر خرج الصحابة – رضوان الله عليهم أجمعين – لأخذ العير وليس معهم عدة ولا عدد ولا يدرون أنهم سيقاتلون، والله ﷻ صور حالهم: ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ * يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ (١) .

فالله ﷻ أراد أن يحق الحق، ويبطل الباطل، ويعلم الأمة إلى يوم القيامة كيف تكون التضحية.

ليس المقصود قتل الكفار.. ولكن المقصود إدخالهم في الإسلام.

يقول الناس : لماذا تتجولون على المسلمين ..اذهبوا للكفار ؟

نحن لا ننكر أن الدعوة إلى الكفار مطلوبة، ولكن تعالوا اخرجوا معنا لنتعلم كيف نبلغ وندعو، ونتعلم صفات الإيمان التي نذهب بها إلى الكفار.

الدنيا لها مراكز للتربية والتدريب، والدعوة والهم والحزن على الإنسانية أن لا تدخل نار جهنم لا يأتي إلا بالخروج للتربية على جهد النبي ﷺ في ميدان الدعوة إلى الله ﷻ .

---

(١) سورة الأنفال – الآيتان ٥ ، ٦ .

ودعوة المسلمين الآن لاستقامة المسلمين على الإسلام.. فنتصف بصفات الإيمان، ونخرج في سبيل الله، ونقوم ونُقيم غيرنا، حتى تظهر طائفة متميزة، تقول للكفار: هذه حياتنا فكونوا مثلنا.. الآن إذا التقى الكفار والمسلمون.. لعل الملائكة تقول: من المسلمون.. كلهم مسلمون ؟ لأن الظاهر كلهم مثل بعض.

يقول الناس : تأخرتم زمن طويل.. نقول: هذا صحيح، وتريدون أن تعيدوا ذلك بثلاثة أيام وأربعين يوماً وأربعة شهور.. وتريدون النتيجة فور الخروج .

قال لي بعض العلماء: إن أهل رايوند يشكلون الناس لمدة سنة كاملة ويفرقون بينهم وبين أزواجهم هذه المدة الطويلة ولا يجوز هذا ؟ قلت لا سمح الله.. أصحاب النبي ﷺ يعاقبون.. كان الرجل منهم إذا خرج ، خرج بدون ترتيب.. ورجع رجع.. قتل.. قتل !!! ليس أمامنا سيرة القرن الأول الصحابة والتابعين.

كيف يخرجون ؟

يخرج جيش من المدينة إلى تركستان يحتاج سنين، وواحد يخرج لدنياه سنين، ولا أحد يستفتي، وواحد يخرج في سبيل الله ليغير الله ﷻ به العوالم يقولون هذا حرام! وللأسف يموتون في بلاد الكفار على الكفر وما أحد يحزن !

خرجت منا هذه الحياة فأنكرناها (١) .

******

(١) هذه المحاضرة ألقاها الشيخ أحمد الأنصاري أحد علماء الدعوة والتبليغ باجتماع رايوند عام ١٩٨٧ .

أسباب الانحطاط والتأخر

يقول تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أمة يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ (١).

ويقول تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أمة وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كانت لَكَبِيرَةً إِلا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢)

.

أيها الإخوة الكرام، إخواني وأحبائي في الله.. إن هذه الأمة في أصلها الغابر كانت في عزة وكرامة وشرف وارتقاء وهذا أمر لا اختلاف فيه ، فكلنا يعرف هذا ، حتى الكفار يعرفون هذا جيداً ، ولكنها في العصر الحاضر، صارت في تأخر وانحطاط وذلة ، فتقدم الأمة في العصر الغابر أمر متفق عليه .. وكذلك تأخرها في العصر الحاضر أمر متفق عليه كذلك.

فلابد أن نتفكر تفكيراً صحيحاً، كيف تقدمت ؟ وما سبب تقدمها في العصر الغابر؟ ولماذا تأخرت، وما سبب تأخرهم في العصر الحاضر؟

---

(١) سورة الأعراف – الآية ١٨١.

(٢) سورة البقرة – الآية ١٤ .

المشكلة كل المشكلة الآن، أن المسلمين يريدون أن يعودون إلى مجد الإسلام وعزه، ولكن لا يتفكرون كيف تقدمنا في الماضي؟ ولماذا تأخرنا في الحاضر؟

أي يجتهدون بطرق مختلفة، ويريدون العلاج بطرق مختلفة، ولكن بغير معرفة السبب، فكلما يجتهدون للتقدم يتأخرون، والأمر الواضح في ذلك أن المسلمين في معية الله ﷻ يتقدمون، وبفقد هذه المعية يتأخرون، هذا هو السبب الوحيد: ﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١)

فالمقصد من هذا العمل ـ عمل الدعوة والتبليغ ـ ليس القيام لخدمة الدين والاجتهاد لنشر الإسلام.. وإنما المقصد من هذا العمل خدمة الإسلام، ونشر الدين من خلال نظام وضعه الله ﷻ للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وللأمم الدينية .

لا نستطيع أن نقوم بخدمة الدين كيفما نشاء، ونجتهد لإقامة الدين كيفما نشاء، المقصد خدمة الدين ونشر الإسلام من خلال نظام وضعه الله ﷻ للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وللأمم الدينية، فكما أن نظام الدين مرتب ومكرر من الله سبحانه وتعالى فكذلك طريقة إقامة الدين وطريقة نشر الدين في المجتمع الإنساني مرتبة من الله ﷻ، ما جعل الله ﷻ الأمر لنا لنخترع ونبتكر أي شيء نشاء، ولا بأي طريق نقوم وكما ذكرت لكم البارحة أن الله ﷻ اختار هذه الأمة، وأخرجهم لإخراج الناس مما هم

---

(١) سورة آل عمران – الآية ١٦٠ .

فيه من ظلمة الشرك والكفر، ومن حياة الفسق إلى حياة الدين وحياة الإسلام.. اختار هذه الأمة ليخرجوا الناس.. ولكن كيف يخرجون الناس وهم قد دخلوا بأنفسهم ؟!!

نحن علينا المسئولية إن الله ﷻ جعل على رقابنا المسئولية بعد ختم النبوة بسيدنا محمد ﷺ، أن نجتهد في جميع العالم، ونخرج جميع الناس من حياة الشرك والكفر والفسوق والعصيان، إلى حياة الإسلام ولكننا تركنا حياتنا ودخلنا في حياتهم !!! كيف نخرجهم ؟؟

ولهذا أقول في هذا الزمان للمسلمين: أن مقامكم هو نيابة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والجهد لإقامة الدين في العالم، هذا علينا مائة في المائة ولكن ٩٥ % من المسلمين يقولون: ما هذا العمل ؟؟ وما تلك الوظيفة ؟؟

أي ينكرون أن هذه مسئوليتنا فى العالم كله، بقى ٥% من المسلمين ثلاثة في المائة منهم يقولون نعم لابد من هذه الوظيفة، ولابد من الجهد لهذه المسئولية، لكن نتبع طريق الأنبياء، والنظام الذي وضعه الله ﷻ للأنبياء والمرسلين، يقولون: هذا ليس ضروري، بل نتبع طريق اليسار أو طرق اليهود والنصارى، هم يقولون: نتبع أي طرق نشاء.. بقى كم ؟ ٢% وهم: نحن وأنتم.. أي أهل الدعوة والتبليغ، نقول: نعم لابد من القيام بهذه الوظيفة، ولابد من الجهد لهذه المسئولية، ولابد من إتباع طريق الأنبياء لكن.. بقى لكن ؟! لكن جهد الأنبياء نشتغل فيه بعد ما نتفرغ من أشغالنا الدنيوية، وصلنا إلى هذا المستوى، أولا: كنا نقول: ما هذا العمل؟ كيف نخرج من بيوتنا ومن أشغالنا ومن أهلنا؟ ومن أوطاننا ؟ الآن وصلنا إلى هذا المستوى، فأصبحنا نقول: نعم،

نقوم بهذه الوظيفة وبهذا الجهد وهذه المسئولية لكن بعد ما نفرغ من أعمالنا وأشغالنا.. نعم نخرج في ثلاثة أيام ثم نعود إلى تجارتنا وأعمالنا، لكن كثير من المسلمين لا يتحملون الخروج لثلاثة أيام.. الذي لا يتحمل الخروج ولو لثلاثة أيام، كيف يخرج لإخراج العالم من حياة الشرك والكفر ومن حياة الفسوق والعصيان ؟

فالمطلوب أن نعرف أن مقصد هذا العمل في الحقيقة ليس الجهد فى المسلمين وإنما المسئولية علينا لإخراج الناس كما كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم يقولون لما سئلوا ما سبب مجيئكم إلينا قالوا: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعتها.

هذه الأمة الله ﷻ جعل لها ميزة خاصة كما بين الله ﷻ ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أمة يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [1] هذه الأمة الله سبحانه وتعالى اختارها من بين الأمم لنيابة الأنبياء ، ولذلك يقول ابن عباس ﷺ فى تفسير هذه الآية : هذه ميزة لكم يا أمة محمد ﷺ ما جعل الله هذا الأمر إلا للأنبياء ولكن الله ﷻ اختاركم من بين هذه الأمم لما كان يختار له الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

فأولاً : إيجاد هذا الشعور والإحساس في المسلمين أن هذه المسئولية عليكم.

ثانياً : أن يكون جهدنا وقيامنا بهذه الوظيفة وبأي طريق ؟

هناك نظام وضعه الله ﷻ لغلبة أهل الحق على الباطل، ولغلبة الأمم الدينية، على

(١) سورة الأعراف – الآية ١٨١.

الأمم الكافرة، جعل الله نظاما مرتبا، ما جعله لأحد من الناس، ولهذا قال الله ﷻ ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (١) هذا تأكيد من الله ﷻ وأنتم العرب تعرفون هذا التأكيد: ﴿ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ هذا تأكيد من الله ﷻ ولكن كيف يغلبون ؟ بالنظام الذي وضعه الله سبحانه وتعالى . لا بأي طريق . بل هناك نظام دقيق مرتب للأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الله ﷻ ان الله ﷻ قال لأنبيائه قوموا أولاً بالدعوة إلىَّ ما قال قوموا بالخلافة ..قال قوموا بالدعوة.. للأسف بعض المسلمين يضحون لأنهم يجتهدون بإخلاص ولكن بغير الترتيب الذي وضعه الله ﷻ .

جميع الأنبياء اجتهدوا بطريق واحد، وأنتم تعرفون إن بعض الأنبياء أرسلوا إلى أمم كافرة وبعض الأنبياء أرسلوا إلى الأمم الدينية الذي تغيرت أحوال الدين فيهم، ولكن سواء الأنبياء الذين أرسلوا إلى الكفار والذين أرسلوا إلى المسلمين الفساق ... كلهم عليهم الصلاة والسلام قاموا بطريق واحد وبترتيب واحد.

فهناك أربعة مراحل لهذا الطريق . طريق الأنبياء . هي :

المرحلة الأولى : مرحلة الدعوة.. فإذا قمتم بالدعوة فبعض الناس يوافقونكم وبعض الناس يخالفونكم، وقال الله ﷻ للأنبياء عليهم الصلاة والسلام اصبروا اصبروا في أمر المخالفين، والذين يوافقونكم ويتبعونكم اجتهدوا عليهم، واجتهدوا في تربيتهم، وهناك

(١) سورة الصافات – الآيات من ١٧١: ١٧٣.

من حكمة الله البالغة.. أنه جعل الدين الإسلامي قسمين :

القسم الأول (من الدين): لا يحتاج إلى الحكومة أبدا.

القسم الثاني (من الدين): إذا أردنا نطبقه لا بد من الحكم والقضاء .

والله ﷻ حكيم قال هم يريدون الحكومة والقضاء أم يريدونني ؟ هم يريدون معيتي ؟؟ أم يريدون الحكم والقضاء ؟؟

فالله ﷻ بحكمته جعل الدين على قسمين فالإيمان لا يمكن إن يدخل في قلب أحد ولو اجتهدت الحكومات جميعا ، الإيمان لا يحتاج إلى الحكومة العبادات بأسرها، جميع العبادات لا يمكن إقامتها عن طريق الحكومة، هل تعين الحكومة مع كل فرد شرطيا يقوم معه ليدخل معه الحمام وينظر هل يتوضأ أم لا يتوضأ كيف يمكن إقامة الصلوات ؟؟؟

الصلاة: أهم العبادات هل يمكن إقامتها عن طريق الحكومة ؟ هل تعمل لهم الحكومة سجلات ؟ كما يكون في المدارس سجلات الحضور والغياب ؟!.

وأمر الصوم: هل يمكن أن تجبره على الصوم بطريق الحكومة ؟ لا يمكن ؟ يدخل الحمام ويأكل ويشرب ماذا تعمل معه .. ؟!

والزكاة: هو يقول: ما عندي مال، وأصحاب الحكومات هم يريدون أن يأخذوا ضرائب من الناس، والرجل يقول لهم: ما عندي مال، ماذا تفعل معه الحكومة ؟؟ .

والحج لله تعالى: يقول الله تعالى: ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إبراهيم وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فإن اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) وهو يقول: ما عندي استطاعة.

والخلاصة :

أن الإيمان لا يحتاج إلى الحكومة، وكذلك جميع العبادات، فهي لا تحتاج إلى الحكومة أبداً، وكذلك الأخلاق والمعاملات لا تحتاج أيضاً إلى الحكومة.

الله ﷻ بين لأنبيائه عليكم بتربية أتباعكم في هذا القسم الذي لا يحتاج إلى الحكومة.. فإذا قام أتباعكم بهذه الأمور التي لا تحتاج إلى الحكومة فعلى تمكينهم في الأرض، عليك أيها النبي أن تجتهد فيهم وتربيهم .

لما قال أصحاب موسى عليه السلام ﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾ قال لهم نبيهم: ﴿ قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأرض فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (٢) .

لابد من فترة التربية، حتى تكون حياة المسلم متميزة، عن حياة الكافر، ولهذا جميع الأنبياء هم يجتهدون على أتباعهم حتى تصير حياتهم، مثل حياته ﷺ .

فترة التربية تكون شديدة على أتباع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهؤلاء الأتباع يقولون للنبي: آمنا بإلهك، وبك، وبكتابك، فلماذا هذا الإيذاء وهذه الشدائد

(١) سورة آل عمران – الآية ٩٧.

(٢) سورة الأعراف – الآية ١٢٩.

؟؟ وهو يقول: لهم إلى الآن ما وصلتم إلى المستوى المطلوب .. يجب أن تكون: أعمالكم فيها قوة.. ويكون إيمانكم فيه قوة.. وتكون أخلاقكم عظيمة كريمة.. وتكون معاملتكم حسنة طيبة.

الأمم الدينية ماذا تقول ..؟

أوه هذا طريق طويل كما نقول في زمننا هذا ماذا نقول؟ نقول من الدعوة إلى العبادات ومن العبادات إلى الأخلاق والمعاملات، وبعد ذلك يأتي النصر من الله ﷻ، هذا طريق طويل، كنت في لبنان وجلست مع عدد من أساتذة الجامعات فقال أحدهم: ما هذا ؟ أولاً: دعوة ليلا ونهار.. ثم تربية لإصلاح الإيمان والعبادات والأخلاق والمعاملات.. ثم تكون بعد ذلك نصرة الله هذا طريق طويل، قلت له: يا أخي أنت مدير في الجامعة هل يمكن أن تُعطى مجموعة من الطلبة الشهادة الجامعية ، وهم ما درسوا في المرحلة الابتدائية ولا المرحلة المتوسطة ولا المرحلة الثانوية وما درسوا في الجامعة ، ولكن هم يريدون أن يحصلوا على الشهادة العالية فهل يمكنك أن تعطيهم هذه الشهادة ؟ قال لي: كيف ذلك وهم ما درسوا في المراحل التي ذكرتها ؟ لا يمكن هذا، فقلت له: خلافة الله في الأرض لابد لها من المراحل المهمة .. أنت لا تعطى هذه الشهادة ، شهادة من الورق ، لأحد حتى يجتاز هذه المراحل وينجح فيها، الخلافة هي نيابة الله ﷻ في الأرض، كيف نتصور أن يعطيها الله سبحانه وتعالى لأناس لم ينجحوا في هذه المراحل ؟!.

وحقيقة الخلافة ما هي ؟

حقيقة الخلافة ليس أن يعطى المسلمون اختباراً تحريراً في الدين ثم بعد ذلك تعطى لهم الخلافة، الخلافة ليست هكذا.. الخلافة: أن الله ﷻ يعطى أمرا لجميع مخلوقاته حتى الملائكة: أن هذا الشخص صار عبداً لي تابعاً لي مطيعا لجميع أوامري، فعليكم أن تطيعوه وتمتثلوا أوامره كلما أمركم، أن الله ﷻ قال للملائكة: (إني جاعل في الأرض خليفة) لمن قال: هذا الكلام ؟ لآدم ، هل كانت معه حكومة ؟ أى أسلحة ؟ إن الله ﷻ يعطى أيضاً الحكم والقضاء بين الناس، كما قال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأرض كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [١] فالله تعالى يعطى الملك والحكومة ولكن حقيقة الخلافة أن الله يسخر جميع الكائنات لتكون في نصرته وفى خدمته وتخضع له .

يقول الله ﷻ للكائنات: عليكم أن تمتثلوا أوامره كما تمتثلوا أوامري.

هذا الخليفة.. الله ﷻ اختاره لنيابته فى الدنيا، ولمجالسته في الآخرة.. ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [٢]، هؤلاء هم خلفاء الله في الدنيا سخرت لهم البحار فيعبروها بلا سفن فلا تغرقهم.. سخرت لهم الوحوش فلا تفترسهم.. سخرت لهم

---

(١) سورة النور – الآية ٥٥.

(٢) سورة القمر – الآية ٥٥.

الملائكة في نصرتهم وخدمتهم خضعت لهم النيران .. وسائر الكائنات، حسب ما هو مدون في كتب السير .

فالإنسان لا يعرف مكانته، أن الله شرفه على جميع الكائنات، والله ﷻ أسجد له الملائكة، كما قال في قوله تعالى:﴿ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ (١).

الإنسان لا يعرف مكانته، الله ﷻ يعرف لأي شيء خلقه، ولذلك لما قالت الملائكة ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأرض خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) قال سبحانه لهم: ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

إني أرسلهم إلى مركز الامتحان ـ هذه الدنيا ليست ميدان اللعب ولا محل القرار هذه الدنيا مركز الامتحان والامتحان في أي شئ ؟ الامتحان هل يعيش حياة الإنسان أم يعيش حياة الشيطان والحيوان ؟

الله ﷻ أرسل الأنبياء والمرسلين ، وقال للناس: هذا الإنسان أسوة لكم ، من أراد أن يعيش حياة الإنسان فعليه بإتباع الأنبياء، والله سبحانه يقول: من كانت حياته مطابقة لهذا الإنسان فهو من أهل الجنة ومن تكون حياته مخالفة لهذا الإنسان، فعليه اللعنة فهو من أهل النار فمقام الناجحين فى هذا الامتحان : الجنة.. ومقام الراسبين:

---

(١) سورة الحجر – الآية ٣٠.

(٢) سورة البقرة – الآية ٣٠.

(٣) سورة البقرة – الآية ٣٠.

النار.

الله ﷻ بين للأنبياء هذا النظام، قال: عليكم أن تجتهدوا في أتباعكم بالتربية التامة.. هؤلاء الأنبياء يقومون فيهم بالدعوة ويقولون لهم: عليكم أن تغيروا حياتكم إلى حياتنا، فمنهم من يغير ومنهم من يقوم للقتال، هناك يقول الله ﷻ: لا تخافوا من أحد أنا معكم ولو كانوا ملايين أنا معكم .

ولا أريد أن أكرر الكلام معكم في قصة بنى إسرائيل ، فالله تعالى يقول ﴿ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [١] لمن يا رب ؟ لليهود ؟ للنصارى ؟ لا:﴿ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ هو يقول انظروا كيف وقعت هذه الأمة فى ذلة وهوان.. كيف وقعت ؟ ولماذا وقعت ؟ لما هم فقدوا معيتي بعد ذلك هم انتبهوا وتابوا :﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأرض وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [٢] ما قال : ورثوا ، وإنما قال : " وأورثنا " ويقول في شأنكم كذلك : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأرض كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا

(١) سورة القصص – الآية ٣ .

(٢) سورة الأعراف – الآية ١٣٧.

يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١) .

الاستخلاف .. أنتم ما شاء الله تعرفون معنى الاستخلاف ، هل معناه أنتم تجتهدون لكي تكونوا خلفاء ؟ أم الله يستخلفكم .. الله هو الذي يستخلفكم ، الاستخلاف ليس شيئاً مكتسباً إنما هو موعود ومشروط .. ليس الترتيب هكذا أن أهل الدين هم يتحصلون الحكومة والقضاء ثم يقيموا الدين ، ولو كان كذلك لقال الله تعالى : الذين يجتهدون لحصولهم على الخلافة ، أولا : أنا أعطيهم الخلافة ، ثم بعد ذلك يقيموا الإيمان والأعمال الصالحة ويقيموا الدين ، ولكن الله يبين هذا الوعد بشرط : الذين يتحقق فيهم الإيمان والأعمال الصالحة ، أنا أكرمهم وأنعم عليهم أعطيهم الخلافة ، ولم يبين أنا أولا : أعطيهم الخلافة ، ثم بعد ذلك هم يقيموا الدين ولهذا أنا أقول : من طريق الدين يصلون إلى الخلافة هم كانوا على الدين أعطاهم الله ﷻ إنعاما وإحساناً الخلافة، ولا نقول : إنه بالخلافة يأتي الدين ، هذا هو الخلاف بين الذين يعملون للدين فى هذا الزمان هم يقولون أولاً نتحصل الحكومة والقضاء وبعد ذلك نقيم الدين ونحن نقول لا أولا تقيموا الدين وبعد ذلك تأتى الخلافة من الأساس إلى السقف أم من السقف إلى الأساس ؟ أهل السياسة يقولون : من السقف إلى الأساس ونحن نقول من الأساس إلى السقف فقط هذا هو الخلاف وهذه هي المشكلة الأساس هو الإيمان وزيادة الإيمان والجدران الأعمال والأخلاق والسقف الخلافة .

الصحابة اجتهدوا من الأساس فوصلوا إلى السقف، والآن هم يجتهدون للسقف

(١) سورة النور – الآية ٥٥.

ليصلوا منه إلى الأساس !!!.

ولكن بغير أساس وبغير الجدران يقع علينا السقف فنموت تحته !!!. اتقوا الله ﷻ.

هذا هو الترتيب والنظام الذي وضعه الله ﷻ للأمم الدينية ولجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ... بعد التربية أول شيء يعطيه الله سبحانه وتعالى ليس الخلافة وإنما أول شيء يعطيه الله سبحانه وتعالى ﴿ إني معكم ﴾ معية الله ﷻ تكون معنا .

الآن نجتهد لمعية كل شيء لمعية القومية .. لمعية العصرية .. لمعية الحكومة .. لكل الأشياء نجتهد أن تكون معنا .. الدكان يكون معنا لنجاحنا وفلاحنا ... الأكثرية تكون معنا .. الحكومة تكون معنا .. فكرتهم كانت مغايرة لفكرة الكفار ، الكفار يقولون هذه الأشياء تكون معنا والمسلمون يقولون الله يكون معنا يكفينا هو حسبنا .. أول معركة بين المسلمين وبين الكفار ، الله ﷻ قال ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ [1] في أي شيء كانوا كارهين ... هم كانوا يقولون لرسول الله ﷺ أخرجتنا في غير عدة ولا عدد وهل يكون القتال بغير سلاح وبغير آلات الحرب ؟ هم أكثر منا ونحن جئنا بغير سلاح ما عندنا سيوف ولا شيء من السلاح ، أنت أخرجتنا وقلت كيفما كنتم تعالوا فقط ، تعالوا وبعد ذلك نحن الآن علي مسافة أربعين ميلاً من المدينة أخرجتنا في هذه الحالة والآن كيف يكون

(١) سورة الأنفال – الآية ٥.

القتال ؟ ما عندنا أدوات الحرب ؟ .

ثم جاءهم الجواب من الله ﷻ ؛ وليس هذا الجواب لهم فقط ، بل لتعليمنا إلى يوم القيامة ، كما قال تعالى:﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ (١) .

لم يقل بسلاحه بل بكلماته لأني معكم ، إذا كان معكم السلاح فاستعملوه وإذا لم يكن معكم السلاح فإني معكم أنا أكفيكم ، أنا أنصركم عليهم ، أنا أحفظكم وأكفيكم من كل شيء ، أنا معكم ، الله ﷻ علمهم في هذه المعركة ، أنهم لا يحتاجون إلى الأشياء ، التي يحتاج إليها أهل الكفر .

أهل الكفر بثوا في قلوب المسلمين في هذا الزمان .. أنكم أصبحتم في تأخر ، ونحن تقدمنا ، وليس عندكم سلاح ولا شيء ، فكيف تغلبوننا ، فعليكم بإتباعنا لأهميتنا ، فسرنا وراءهم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .. هذه هي المشكلة ، وحصل ما حصل ، كلكم تعرفون ، ولهذا الله قال في هذه المعركة ، أولا : قال : بألف من الملائكة: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (٢) ثم قال ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ

(١) سورة الأنفال – الآية ٧.

(٢) سورة الأنفال – الآية ٩.

رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾ [١] قال تعالى:﴿ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ﴾ [٢]

وبعد ذلك ماذا يقول ؟ يقول: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [٣].

المقصد أن المسلم لا يحتاج إلى ما يحتاج إليه أهل الكفر، وهناك سنة الله ﷻ أنه سبحانه وتعالى جعل صورة القدرة مع الكفار، وجعل حقيقة القدرة مع المسلمين، وحقيقية القدرة غالبة دائما على صورة القدرة .

ولكن من سنة الله ﷻ ، أن الأمم الدينية إذا كانت بمعية الله ﷻ في مواجهة الكفار، فإن الله يجعل أعناق الكفار مع سلاحهم تحت أيديهم يا ليتنا نعلم ونوقن.

الإنسان يتأثر كثيرا بالبيئة والعادة، ومن رواج بعض الأفكار يجد في أيدي بعض الناس أشياء، فيأتي في قلبه لو أن في يدي هذه الأشياء فأفوز وأفلح .

نرى بعض الناس يطبقون باطلهم عن طريق الحكومة.. الحزب.. الأكثرية..الأغلبية في البرلمانات المختلفة.. فيأتي في القلب التأثر من هذه الأشياء ونقول يا ليت لنا مثل ما أوتي هؤلاء .. لا ، لا .

---

(١) سورة آل عمران – الآية ١٢٤.

(٢) سورة آل عمران – الآية ١٢٥.

(٣) سورة آل عمران – الآية ١٢٦.

إن لأولياء الله طريق ولأعداء الله طُرق مختلفة .... طريق أولياء الله غير طرق أعداء الله .

أعداء الله يريدون، أن يتحصلوا على القوى المادية ليغلبوا بها ، ونحن ظننا ؛ أنه لو كانت عندنا القوة المادية نغلبهم.. ما عرفنا أين قوتنا، وكيف تكون لنا الغلبة، ومن أي طريق يكون النصر ؟ .

نحن ظننا، أننا نغلبهم بالقوى المادية، هذا لا يمكن إلى يوم القيامة.. والكفار يعرفون ذلك جيداً.. يعرفون أنهم، متفوقون علينا من ناحية القوات المادية .. والله ﷻ يأمرنا أن نذكر ولا ننسى من الذي ينصرنا ، كما قال تعالى: ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أنتم قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأرض تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١) .

من أين لهؤلاء الضعفاء المستضعفون أن تأتى تحت أقدامهم الدول العظمى- كما يقولون- هذه الإمبراطوريات الكبيرة في الشرق والغرب كيف جاءت تحت أقدامهم، كان سيدنا عبد الله بن مسعود ضعيفا نحيفا، وحين علا بقدمه فوق رأس أبى جهل تعجب فرعون هذه الأمة، وقال: لقد ارتقيت رتقاً صعباً يا رويعى الغنم .. نعم إنها النبوة ، إنه نصر الله ، إنها معية الله، هذه هي القوة الحقيقية ولكن أكثر الناس لا يعلمون، يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا .

قيل لي ذات مرة : أليست السياسة في الدين ؟ قلت: السياسة الدينية فى الدين ،

---

(١) سورة الأنفال – الآية ٢٦ .

أما سياسة الكفار.. فليست من الدين في شيء، كما أن عبادة الكفار ليست من الدين، هل عبادة الكفار من الدين فإننا لا نعبد ما يعبدون، فكما أن عبادة الكفار ليست من الدين فكذلك سياسة الكفار ليست من الدين أبدا.. أما السياسة الدينية فهي من الدين ولا شك.

وما هي السياسة الدينية ؟

السياسة الدينية هي : أنه بمعية الله ﷻ نفوز ونفلح في الدنيا والآخرة ، ومعية الله ﷻ كيف نتحصل عليها ؟ .

لا يمكن أن نتحصل عليها، إلا بحياة الدين، وحياة الدين لا يمكن أن تأتى في المجتمع الإنساني إلا بجهد الأنبياء عليهم السلام، لا يمكن أن تأتى حياة الدين في المجتمع الإنساني عن طريق الحكومة.

والأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعثوا بشيئين :

١) حياة الدين .

٢) نظام توصيل هذه الحياة إلى المجتمع الإنساني، وهو الدعوة لا الحكومة.

الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين ، كانوا من أول لحظة يجتهدون الجهدين معا ، يجتهدون في أن يحيوا حياة الدين وفى نفس الوقت يجتهدون لتوصيل هذه الحياة إلى المجتمع الإنساني .. كونوا مثلنا .

والخلاصة : أنه لا يمكن ، حصول الخلافة والإمامة والتمكين إلا بمعية الله ﷻ ، ومعية الله ﷻ لا نتحصل عليها ؛ إلا بحياة الدين، وحياة الدين لا يمكن إيجادها.. إلا

بطريق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، طريق الدعوة على منهاج النبوة هذه خلاصة السياسة الدينية.

أما سياسة اليسار، واليهود، والنصارى، والكفار، على اختلاف مذاهبهم ؛ فإنهم يفرضون باطلهم بطرق مختلفة، ويسعون جاهدين عن طريق الأغلبية.. الحزب القوى.. الاعتصامات.. الإضرابات.. المظاهرات.. المسيرات.. توزيع المنشورات.. تعليق اللافتات.. شكوى الحكومات عند المنظمات التي يشرف عليها اليهود والنصارى أو ما يسمى بلجنة حقوق الإنسان.. الامتناع عن الطعام والشراب حتى تلبى مطالب معينة.. العنف والعنف المضاد.. دخول المعارك الانتخابية للحصول على مقاعد البرلمان والأجهزة المختلفة.. الصراع السياسي بكافة أشكاله .. وما أدرى لماذا كل هذا، وغيرها ؟

هي وسائل أهل الباطل اليسار، واليهود، والنصارى، والكفار، على اختلاف مذاهبهم .

وكذلك وسائل أهل الدنيا، في الضغط على الحكومات، للحصول على مطالب دنيوية، وتيسير مزيد من الشهوات.

والسؤال: هذه الوسائل أو شيء منها استخدمها أي نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ؟

لا وألف لا وهل هذه السياسة (سياسة الفساق والفجار) من الدين لا

وألف لا.. إن لأولياء الله طريق، ولأعداء الله طرق مختلفة .

ونحن إذا سرنا في طريقهم، فلن نصل إلى شيء؛ إلا التخبط والاضطراب، وتأتى علينا المصائب من كل ناحية.

ولا نريد أن نفيق، ولا نريد أن نفهم، ولا نريد أن نسير بالنظام الذي خلقه الله ﷻ وارتضاه، لغلبة الحق على الباطل.

عندما يسير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في طريق الدعوة فبعض الناس يقوم لقتالهم هنا بإذن الله ﷻ نقاتلهم كما قال تعالى :﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (١) وهكذا من خلال التمكين والاستخلاف الذي أعطاه الله سبحانه وتعالى للذين آمنوا وعملوا الصالحات تبدأ مراحل القتال المختلفة .

فقط علمنا أن في الإسلام قتال، فقلنا هيا نقاتل ما تفكرنا مثلا ؟ وكيف؟.

فكما أن الصلاة فيها قيام وركوع وسجود وجلوس، وقبل ذلك الطهارة بنظام وترتيب مخصوص ، كذلك في الدين الإيمان، العبادات، الأخلاق، المعاملات، الخلافة والتمكين، الحدود، التعزيرات، القتال والله ﷻ جعل لذلك ترتيباً ونظاماً لابد منه، فلو أنني رأيت رجل يصلى بغير وضوء، أو يبدأ الصلاة بالسجود، فقلت له: لا .. لا يا

(١) سورة الحج – الآية ٣٩.

أخي ليست الصلاة هكذا، فهو يغضب، ويقول: انظروا كيف يمنعني هذا من، أن أصلى لربى .. يا أخي: أنا، لا أمنعك من الصلاة، ولكن لهذا الأمر ترتيب، لا يقبل إلا به، وبغيره لا تكون صلاة .

فهيا بنا .. إلى المنهج الرباني لإقامة الدين، ونشر الدين، بالترتيب الصحيح الذي شرعه الله ﷻ للأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام.

وهيا بنا.. نخلع من أعناقنا، الطرق المخترعة، التي لا توصل إلا إلى إضاعة الجهد والوقت والمال سدى.

نعم ، تعالوا جميعا، نترك السبل، لنتبع السبيل الذي أمرنا الله سبحانه وتعالى به حيث قال: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [١] فهل أنتم مستعدون؟ [٢] .

******

(١) سورة يوسف – الآية ١٠٨.

(٢) من بيان للشيخ / محمد أحمد الأنصاري .

النبوة والخلافة والنيابة

في أي شئ يقال الدين ..؟

يتصور الناس أن الدين يعنى بعض الأحكام والعبادات وآدائها على طريق مخصوص اسم الدين ولكن حقيقة الدين كما بينه الله ﷻ والنبى الكريم ﷺ والصحابة رضي الله عنهم أجمعين أن الدين هو ارتفاع الإنسان إلى الأعلى أي وصول الإنسان إلى الله .

ومن الدين يُجعل الإنسان نائباً عن الله ﷻ فى الأرض أي خليفة الله فى الأرض .

وإذا صار خليفة الله فيجعله خليفة على جميع الكائنات ويصير حاكماً لها.

فهو فى جانب مخلوق وفى جانب آخر حاكم على المخلوقات (١).

- والله جعل في الإنسان شيئين : الحاكمية ، والمحكومية.

---

(١) قال الإمام القرطبى : آدم هو خليفة الله فى إمضاء أحكامه وأوامره لأنه أول رسول إلى أهل الأرض – الجامع لأحكام القرآن للقرطبى .

والخليفة هو الحاكم ومنه قوله تعالى ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ﴾ (سورة صّ – من الآية٢٦) ويكون المعنى على هذا أن الله ﷻ خلق لآدم وذريته ما فى الأرض جميعاً ، وسخرها لهم ، وجعله حاكماً عليها لينشر فيها العدل بما هداه الله إليه من العلم ، وإجراء أحكام بين الناس وسياسة خلقه ، وتختص بآدم والخواص من بنيه (التفسير الوسيط –١/٧١).

يعنى محكوم من الله ومأمور من الله.. وبعد ذلك يجعله حاكماً على الكائنات.. ولهذا بين للإنسان أن مقامك عند الله ﷻ الخلافة والنيابة:

قال الله ﷻ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (١).

وقال الله ﷻ: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (٢).

- فمن كان فيه مادة الخلافة فهذا الإنسان يصير إنسان .. ومن ليس فيه هذه الصفة فهو ليس إنسان بل فقط صورة إنسان ..
- فالمقصود .. أن يكون الله معه والكائنات تحته .
- بعض الناس يظنون أن اسم الخلافة أن يكون لهم فى بعض المناطق حكومة وهذا ليس صحيح .. ولكن فى الحقيقة .. الخلافة اسم ليتعلق الإنسان بخالقه حتى يصير نائباً من الله على المخلوقات سواء له حكومة أم لا وهذا يصير خليفة الله.
- وبعض الناس يظنون.. أن من له مال يكون سعيد ولهذا صار الناس مختلفون، ولذا أصبح عقيدة المسلمين كعقيدة الكفار، فقارون.. قد بين الله قصته في القرآن الكريم: ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾ (٣) وليس مع موسى شئ ولكن

(١) سورة الذاريات – الآية ٥٦ .
(٢) سورة البقرة – الآية ٣٠ .
(٣) سورة القصص – الآية ٧٦ .

معه الله ﷻ قال له موسى عليه السلام: ﴿ وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ (١) الله أعطاه المال لينفقه على الناس فقال ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ (٢) أى اكتسبته بكمالي ليس لأحد فيه دخل لا خالق ولا مخلوق .. قال له موسى: ﴿ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٣) .

وفى ارتكاز المال في بعض الناس.. يأتي الفساد.. بل ويخرج منه الفساد.. فهو لا ينفق ما عنده.. والآخرون ينتظرون الأخذ منه ولو بالسرقة.

فيجب على كل فرد فى الأمة أن يأخذ ضرورياته والباقي يوزعه على الناس لأن المال الذي بيده ليس ملكه بل ملك لله الذي أعطاه له ، فقد قال تعالى : ﴿ وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴾ (٤) فالضرورة تكفى لأننا كالمسافرين ومنزلنا الأصلي الجنة ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ (٥) .

ويجب على المسلم أن يختار لنفسه القليل من الأشياء في المأكولات والملبوسات والمسكن.. فإذا كان على هذا الترتيب.. لا يأتي الخراب فى المملكة .

---

(١) سورة القصص – الآية ٧٧ .

(٢) سورة القصص – الآية ٧٨ .

(٣) سورة القصص – الآية ٧٧ .

(٤) سورة النور– من الآية٣٣ .

(٥) سورة فصلت – الآية ٣١ .

وقارون أعطى المرأة المال حتى تتهم سيدنا موسى عليه السلام بالزنا واعترفت المرأة أمام موسى عليه السلام بذلك ، والله خسف به وبداره الأرض، وقال موسى للأرض خذيه، وهذا مقام الخلافة، فهو حاكم على الأرض.. من هذا عُلم أن الخلافة فى أداء أمر الله عز وجل .

بعض الأشياء صنعها الإنسان وركبها كالسيارة وصار مالكاً لها وبعض الأشياء الله خلقها وجعله خليفة عليها مثل الأرض ..

سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام كان خليفة الله عز وجل ولهذا أحي الله الأموات بدعائه، وفى الحقيقة هذا أمر الله لأنه خليفة الله وبذلك صار الناس مرتدين، فمن الناس من قال هذا هو الله جاء فى صورة عيسى.. ومنهم من قال أنه ابن الله ولكنهم ما فهموا.. إذا كان هذا الإحياء في اختيار عيسى عليه السلام فهو شرك.. وإن كان من اختيار الله عز وجل فالله بصير والإنسان بصير.. ولكن هناك فرق بين بصر الله وبصر الإنسان.. فبصر الله من نفسه.. وبصر الإنسان من الله عز وجل، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ (١) .

وإذا كان هذا الإنسان خليفة الله يصير إنسان.. والله عز وجل يعطيه عوض عن هذه الإنسانية أن يكون معه .. فيعرض الترتيب على الإنسان ولكن الإنسان بحماقته يعرض ويختار غير ذلك ولذلك قال قولو:﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (٢) .

---

١) سورة الروم – الآية ٣٠.

٢) سورة الفاتحة – الآية ٥.

والله ﷻ أرسل الأنبياء ليعلموا الناس هذا الترتيب.. حاكماً ومحكوماً .. وفلق البحر وعدم الحرق .. هذه الأشياء ليست قصراً على الأنبياء بل لكل الناس كما قال الله ﷻ: ﴿ وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) .

والله ﷻ قال للنبي الكريم ﷺ انقل عملك للغير.. وانتقال عمل النبي هو الدعوة.

والناس يحبون أن تأتى حياة النبى ﷺ وعمله ولكن بدون جهد النبى وهذا لا يأتى فى الناس إلا بالجهد.. والإنسان بهذا الدين يصير فيه الأخلاق ويصير إنسان.. فالنبي ﷺ جاء بالحياة.. وجاء بالجهد لإحياء الحياة .

وقد كان للصحابة أربعة أدوار :

- الدور الأول: يخرجون الناس من الشرك والكفر .
- الدور الثانى: بعد أن صار الناس مسلمون يعلمونهم عمل الدعوة.
- الدور الثالث: كيف يفعلون بمن يصد عن هذا العمل .
- الدور الرابع: يصيرون مستقيمين على هذا العمل حتى ينتشر الدين في العالم.

قال موسى عليه السلام لفرعون :﴿ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى* إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ (١) يعنى إذا اتبعتني فأنت محبوب الله ﷻ وإذا خالفتني فأنت عدو لله ﷻ.

---

١) سورة الروم – الآية ٤٧.

وحتى يكون الله ﷻ مع الداعي لابد أن يأتي فيه صفات الداعي.. ولهذا كان النبي ﷺ قبل الدعوة في الغار وسيدنا موسى عليه السلام في مدة أربعين يوماً: ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ (٢) حتى يتحصل على صفات الداعي.. وعلى هذه الأمة أن تخرج لتتحصل على صفات الداعي حتى يقول الله.. الآن جميع قدرتي معكم.. الآن الله ﷻ ليس معنا لأننا فقط نحب الدعوة وليس فينا صفات الداعي، وكلاً منا يقول بلسان حاله.. ابذل حياتك كما شئت.. ولكن أنا أظل هكذا.

الصحابة قالوا للناس.. كونوا مثلنا.. فهم صاروا عاملين حتى يقولوا للناس كونوا مثلنا ونحن نقول للناس كونوا بهذه الصفات ونجعلها فى أنفسنا وليس فينا حياة ندعو الناس إليها .

وأنا لا أقول ليست الدعوة موجودة.. بل أقول ليست على ترتيب الصحابة موجودة لأي شئ يُؤخذ منكم أربعة شهور؟

(١) لتكون نيتكم إصلاح أنفسكم .

(٢) وأن يأتي فيكم صفات الداعي.

(٣) وأن يأتي فيكم الحياة التي تدعو الناس إليها.

---

(١) سورة طه – الآيتان ٤٧ ، ٤٨ .

(٢) سورة الأعراف – من الآية ١٤٢ .

الناس فى زمن النبي ﷺ رفضوا الإسلام ليس من أجل الإسلام بل لأنهم دُعوا ليُغيروا حياتهم .. وهم يقولوا إذا أخذنا هذه الحياة تذهب عنا أموالنا .. لأنهم يتعاملون بالربا .. والله ﷻ يقول لهم .. إذا قمتم على هذه الحياة أكون معكم (١) وإلا فلا أكون معكم، قال الله :ﷻ ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٢) وقال الله ﷻ ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (٣).

نحن نقول اللهم انصرنا على الكفار والله يقول أنا لا أكون معكم حتى تغيروا حياتكم لحياة الأنبياء وحياة الصحابة ولهذا فالله ﷻ ليس معنا.

ونحن نقول هذا العمل – عمل الدعوة – صار في كل العالم ومع هذا الله لم ينصرنا .. ؟! نعم .. فالدعوة وصلت لكل العالم ولم تتغير حياتنا.

---

(١) قال تعالى ﴿ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (سورة المائدة – الآية ١٢) .

(٢) سورة آل عمران – الآية ١٤٢ .

(٣) سورة البقرة – الآية ٢١٤.

البعض يقول نحن خرجنا لنصلح أنفسنا ونحن مرضى وأنتم مرضى والمريض يشاور المريض .. فيقول الناس فلماذا خرجتم كيف يكون علاجنا معاً ..؟! نحن عندما نكون مستعدين لتبديل الحياة فيأتى فينا الإصلاح ولكن إن لم نكن مستعدين لتغيير حياتنا .. لأن البعض غصب مال غيره وإرجاع هذا الشئ لمالكه صعب.

فإذا لم تكن الصفات في الداعي فلا تقبل دعوته، ولا يأتي بدعوته الإصلاح وإن قام عليها كثير من الناس .

وعلينا أن نجعل دعوتنا كدعوة الصحابة رضي الله عنهم.. نبذل حياتنا ونجتهد على الناس أن يبدلوا حياتهم وإذا كان الجهد بهذا الترتيب يأتي التغيير في العالم.

بعض الناس خرج فى الدعوة لمدة طويلة ثم جلس .. لماذا ..؟! قال الشيخ إلياس – رحمه الله – : لأنهم اجتهدوا على الناس ونسوا أنفسهم .

الصحابة أخذوا بكل الدين الصعب والسهل كما قال الصديق الأعظم أبو بكر ﷺ فى وصيته لعمر: وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق فى دار الدنيا وثقله عليهم (١).

إذا لم تكن حياتنا مثل حياة النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم أجمعين لم تكن نصرة الله معنا وهذا ليس بصعب بل هذه فطرة الله التي فطر الناس عليها.

---

١) حياة الصحابة الكاندهلوى – ١٠٣/٢ .

الله ﷻ يحب أن نكون مثل الصحابة ونحن نحب أن نكون مثل فرعون وقارون ونحب أن تكون نصرة الله معنا مثل ما كانت مع موسى عليه السلام ، فنحن نقول اخرجوا .. خذوا حياة نبيكم ﷺ .

المشايخ يقولون فى هذا الزمان الأمة جُعلت سداً لدخول الكفار فى الإسلام لأن حياتهم ليست كحياة النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم .

ذهبت جماعة – داعية إلى الله ﷻ – إلى الخارج .. قال لها أحد علماء النصارى: أرونا في بلادكم قرية صغيرة فيها الإسلام كما في عهد النبي وأصحابه لندخل في الإسلام، فلم يستطيعوا الجواب .

صفة الداعي مقام عظيم لو جاء فينا فهو مقام عظيم بعد مقام الأنبياء وهذا المقام مخصوص لهذه الأمة ومن جاء فيه هذا المقام يحشر مع الأنبياء والصحابة ولتحصيل هذا المقام لابد من الجهد (١).

* * * * *

١) محاضرة ألقاها الشيخ / محمد أحمد الأنصاري – مدنية بهاول بور – باكستان – الخميس الموافق ١٢/١١/١٩٨٧م .

هل ننصر بدون الدعوة ؟

إذا جاءت التعليمات الإلهية ينقسم الناس إلى ٤ طبقات :

الأولى: المؤمنون بالتعليمات الإلهية ويطبقونها ثم يجتهدون لنشر هذه التعليمات في المجتمع الإسلامي.

الثانية: مؤمنون بالتعليمات ويطبقونها ولكن لا همَّ لهم بنشرها.

الثالثة: مؤمنون بالتعليمات الإلهية ولكن لا يطبقونها ولا ينشرونها .

الرابعة: الكافرون بالتعليمات الإلهية.

الله ﷻ قسم هذه الأقسام وبين لكل قسم حكمه:

فالقسم الأول: هم الأنبياء والرسل ﷺ وأصحابهم والله ﷻ يبين في محكم كتابه :

قال تعالى ﴿ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ ﴾ (٢).

---

(١) سورة التوبة – الآية ١١٢.

(٢) سورة آل عمران – الآية ٢١ .

وقال تعالى:﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (١).

وقال تعالى ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (٢).

وهذه الأمة التي ذكره الله في كتابه هي أمة محمد ﷺ .

وقال تعالى ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (٣).

هذا القسم: وعدهم الله ﷻ بالغلبة على أعدائهم سواء كانوا بالعدة أو بغيرها، فالله ﷻ جعل لهم الغلبة على المخالفين :

قال تعالى :﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾ (٤).

وقال تعالى :﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (٥).

---

(١) سورة الأعراف – الآية ١٥٩ .

(٢) سورة الأعراف – الآية ١٨١ .

(٣) سورة آل عمران – الآية ١١٠ .

(٤) سورة غافر – الآية ٥١.

(٥) سورة الصافات – الآيات ٧١: ٧٣.

الأنبياء كانوا أصحاب دعوة وكانوا يغلبون على أعدائهم لأنهم ليسوا فقط من العبَّاد والزهَّاد بل في الحقيقة مبعوثون من الله ﷻ وسفراء لله ﷻ ولذلك جعل نصرهم مؤكد لأنهم سفراء من الله ﷻ ومن مد يده إلى السفير بالشر كأنه مد يده على كرامة الحكومة .. لذا فهي تعاقبه أشد العقاب .. وهؤلاء هم سفراء لله ﷻ ومن مد يده إلى أحدهم فكأنه مد يده إلى الله ﷻ ولذا قال الله ﷻ لموسى ﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾(١) قال موسى أنت ترسلني إلى جبار وعنيد وليس معي قوة .. قال الحق ﷻ ﴿ قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى * قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ (٢).

فالدعوة أمر الله إلى النواب والله وعدهم بالغلبة.. فهذا القسم يكون فى جميع الأحوال غالباً على غيره ومن خالفهم أو حاربهم أو مد يده إليهم بالسوء.. لا يتركهم الله ﷻ ولكن ينتقم منهم.

الله جعل أمر الدعوة إلى الأنبياء وبعد خاتم النبيين انتقلت هذه الوظيفة إلى هذه الأمة بجميع الوعود وجميع العهود، ولكن الفرق أن كل واحد منهم كان داعياً ورسولاً وسفيراً عن النبي ﷺ ولكن هذه الأمة إذا قامت بهذه الوظيفة أعطاهم الله الغلبة ، فالله

(١) سورة طه – الآيتان ٤٣ ، ٤٤ .

(٢) سورة طه – الآيتان ٤٥ ، ٤٦ .

ﷻ ما جعل هذه الوظيفة لأى أمة قبل الأمة المحمدية، لكن كان عليهم العبودية والدعوة إلى أنبيائهم ولذا فإذا احتاجت الأمة شئ كانوا يذهبون إلى أنبيائهم ويقولون :

... يا موسى ادعُ لنا ربك (١).. يا عيسى ادعُ لنا ربك .

ومن طريق أنبيائهم ينصرون، فمن تعلم وتبحر يجد أنه لا يقوم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى الأمم السابقة إلا أشخاص معدودون.

القسم الثانى: يتحصلون على الجنة بأعمالهم وإن حوسبوا على التقصير ولكن ليس لهم الموعود الذى وعده الله ﷻ للقسم الأول .

القسم الثالث: الذين آمنوا ولم يطبقوا.. لهم النجاة فى الآخرة بعد شفاعة الأنبياء ولهم الخزى والعار فى الدنيا .

القسم الرابع: يكون لهم الغلبة في الدنيا إن لم يوجد القسم الأول ..وتكون لهم جهنم يوم القيامة .

---

(١) قال تعالى:{وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُواْ يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ }سورة الأعراف الآية ١٣٤.

وقال تعالى:{وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُواْ مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ } سورة البقرة الآية ٦١.

ولحماية القسم الثاني.. لابد من القسم الأول، ولإخراج القسم الثالث من الأهواء إلى الأعمال لابد من القسم الأول ، ولإخراج القسم الرابع من الكفر إلى الإيمان لابد من القسم الأول.

فبسبب هذا القسم يكون النصرة، ولذا فالله ﷻ نقل هذا القسم إلى هذه الأمة ووعدهم بما وعد به الأنبياء.. ويتضح ذلك جلياً فيما أخرجه بن ماجة وابن حبان عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل عليَّ النبي: ﷺ فعرفت في وجهه أنه قد حضره شئ فتوضأ وما كلَّم أحداً فلصقت بالحجرة أستمع ما يقول فقعد على المنبر فحمد الله ﷻ وأثنى عليه وقال : " يا أيها الناس إن الله يقول لكم : مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا أجيبكم وتسألوني فلا أعطيكم وتستنصروني فلا أنصركم .. فما زاد عليهن حتى نزل. " كذا فى الترغيب (١).

وهذا يعنى أن العبَّاد والزهَّاد لا يستجاب لهم إذا لم يقوموا بهذه الوظيفة فالصحابة كانوا يفهمون هذا الأمر حتى أعدائهم كانوا يفهمون أن نصرة الصحابة بسبب الدعوة، وفى التاريخ لما كتب سعد بن أبى وقاص إلى سيدنا عمر رضي الله عنه بأموال القادسية وطلب منه المدد كتب له رسالة هي قانون لنصرة هذه الأمة .. أما بعد: فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال .. الخ (٢).

---

(١) حياة الصحابة – ٣ / ٤١٤ .

(٢) نقلاً من كتاب فقه السنة – ٢ / ٦٤٢ .

ولما جيئ بالهرمزان أسيراً وسأله عمر بن الخطاب ﷺ كيف رأيت وبال الغدر وعاقبة أمر الله ؟ قال الهرمزان قول لا يستطيع أن يقوله أعلم الناس اليوم، حين أمره عمر بالكلام بعد أن جاء أسيراً، فقال: يا عمر! إنا وإياكم في الجاهلية كان الله خلا بيننا وبينكم فغلبناكم، إن لم يكن معنا ولا معكم، فلما كان معكم غلبتمونا. فقال عمر : إنما غلبتونا فى الجاهلية باجتماعكم وتفرقنا(١).

وعندما ذهب ربعي بن عامر إلى رستم وقال: إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ﷻ ... الخ وعرض عليه قبول الإسلام أو الجزية أو السيف ، ولما سمع رستم الكلام قال : انظر، حتى نتشاور، فقال ربعي بن عامر: إن رسولنا أمرنا أن لا نترك عدونا فوق ثلاثة أيام، فأرسل رستم إلى سعد بن أبى وقاص ﷺ أن يرسل له رسول آخر فأرسل له المغيرة بن شعبة ﷺ فوجدوا كلام المغيرة مثل كلام ربعي بن عامر.

المقصد .. أن الأمة في ذلك الزمان كان يعرفون وظيفتهم ، وبها كانت لهم الغلبة على أعدائهم .

وفى هذا الزمن .. لو سألت المسلم ما وظيفتك؟ فما يعرف شئ . ويقول: التجارة.. الزراعة.. الوظيفة... الخ.

---

(١) البداية والنهاية – ٧ / ٨٧ .

والصحابة ﷺ لما قاموا على وظيفة الدعوة غلبوا على البلاد.. لا بالعدد والعدة وإنما بمعية الله ﷻ، ولما خلف من بعدهم خلفٌ ظنوا أن حرب الكفار يأتي بنصرة الله ﷻ والله ﷻ يقول ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (١) .

يعنى إن بقى التقوى .. يأتي النصر من الله ﷻ .

انتقل المسلمون بالتدريج من حياة الدين إلى إتباع أعدائهم، ويريدون الغلبة على أعدائهم مع أن مزاجهم مثل مزاج أعدائهم، ولباسهم مثل لباسهم.. في جميع ما يتعلق بشئون الحياة.. ثم يريدون الغلبة عليهم ...!! .

وكيف تكون الغلبة للتابع على المتبوع ؟.

وفى هذا الزمن نريد مجد الإسلام،كان الشيخ يوسف (رحمه الله)(٢) يقول: نريد شوكة الإسلام ومجد الإسلام، والله ﷻ يقول: ﴿ وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٣).

والآن لا يريدون الإسلام .. بل يريدون مجد الإسلام ... !!!

---

(١) سورة التوبة – الآية ١٢٣ .

(٢) مؤلف كتاب حياة الصحابة .

(٣) سورة آل عمران – الآية ١٣٩ .

ولحصول مجد الإسلام .. لا يأتي إلا بالدعوة إلى الله ﷻ فتتحقق العبودية وبالعبودية تأتى حياة التقوى والإيمان، فالله ﷻ يكون معهم ويكون لهم الغلبة على أعدائهم.

ولذلك لابد للمسلم من المرور بأربع مراحل :

١) الدعوة إلى الله ﷻ .

٢) العبوديــة لله ﷻ.

٣) المعية الإلهية .

٤) الخلافة: (وهي الغلبة والاقتدار علي الأعداء): قال الله ﷻ: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾(١).

الناس يريدون الخلافة أولاً .. ثم الدين .. (العبودية) .. ولكن لابد من أربع مراحل .. الدعوة .. التربية .. وهى تغيير الحياة إلى حياة الإسلام .. ثم ظهور النصرة من الله ﷻ كما فعل مع بني إسرائيل . فكان بعض الأنبياء يحب النصر على

---

(١) سورة النور – الآية ٥٥ .

الأعداء . قال الله ﷻ ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ (١).

فالآن المسلمون يريدون المرحلتين الآخيرتين.. ظهور النصرة.. الخلافة، وأما مرحلة التربية والدعوة فلا يريدون .

وفى عام ١٩٥٤م كنت خارجاً في سبيل الله ﷻ في سوريا في حماه ووقتئذٍ.. كان اجتماع الملوك والسلاطين المسلمين، في مكة المكرمة، وكان هناك عالم يحاضر فى ساحة كبيرة فى حماه ، وينادى بإقامة الدولة الإسلامية الكبرى والخلافة الإسلامية، فقال له أحد الحاضرين: ولكن .. هذا الشيخ يخالفك في ذلك .. فالتفت إلىَّ الأستاذ المحاضر وقال لى : كيف تخالفني يا شيخ ! القضية واضحة وساطعة، ولم يكن الأمر يتحمل المناقشة.. والأخذ والرد في هذه القضية الهامة، فقلت له: اسمع يا شيخ! أنت تريد خلافة إسلامية حقاً ..؟ قال : نعم ولا شك .. فقلت له كلاماً مختصراً جداً :

.. لما وجد الدين .. وجدت الخلافة ..

.. ولما ضعف الدين .. ضعفت الخلافة ..

.. ولما ضاع الدين .. ضاعت الخلافة ..

فقال لي: نحن نريد الخلافة.. حتى يوجد بها الدين.. أنت تقول بالعكس .. نحن نريد الدين أولاً ثم تكون الخلافة ، فعليك الدليل ..؟ ، فقلت هذه الآية الكريمة﴿ وَعَدَ

(١) سورة الأعراف – الآية ٨٩ .

اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١). ثم قلت له : يا أخي الأمر يشبه أنك تريد بيتاً كاملاً . فقال لك المهندس: أنت عليك القيام بالأساس والقواعد والأعمدة والجدران، وأنا أقوم بوضع السقف، ولكنك تقول: لا.. نريد السقف أولاً .. مما قد يؤدى للموت تحت أنقاضه.

وكنت فى لبنان وقال عميد الكلية.. لابد من الجهاد وإقامة الدين.. قلت له : هل تستطيع أن تعطى الشهادة النهائية لمن هو في المرحلة الإبتدائية .؟! قال : لا . قلت الخلافة هي المرحلة النهائية، فكان بعض الصحابة عندهم هذا الفكر، فقال الله ﷻ لهم ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾(٢).

والله ﷻ بين لنا أنه ابتلى أهل الكتاب .. اليهود والنصارى .. ، اليهود بالمال.. والنصارى بالملك.. فاليهود تركوا حياة الدين لاشتغالهم بالأموال، والنصارى تركوا حياة الدين لانشغالهم بالملك .

---

(١) سورة النور – الآية ٥٥ .

(٢) سورة محمد – الآية ٢٢ .

والله عاقب اليهود بالذل والمسكنة والهوان.. وعاقب النصارى بالبغضاء والشحناء إلى يوم القيامة.

والله ﷻ أكرم المسلمين بالإتباع والدين والأوامر.. وكأن الله يقول للمسلمين .. إن تركتم التعليمات الإلهية من أجل المال .. فسأعذبكم مثلهم .. وإن تركتم التعليمات الإلهية من أجل الملك فسأعذبكم مثلهم .. وكثير من المسلمين اليوم منهمكين فى كسب الأموال ، وما فى أيدى المسلمين من أموال أكثر مما فى أيدى أعدائهم والله ﷻ جعل بينهم الشحناء والبغضاء ..

يقولون التبليغ للكفار .. ولكن من يبلغ ..؟!

المسلم يقول: ليس عندي وقت.. فنحن نأخذ وقت المسلمين حتى يتعلموا الدعوة ويتصلوا بالله ﷻ، ويتحصلون على الصفات ثم يمشوا بها بين الناس (١)

******

(١) محاضرة ألقاها الشيخ / أحمد الأنصارى - بمسجد كلية الطب بمدينة بهاول بور- باكستان ، الخميس الموافق ١٩٨٧/١١/١٩م .

الدعوة طريق العودة

نظام العبودية : خوطب به جميع الأنبياء عليهم السلام وأمة محمد ﷺ ، ونظام العبودية لا يقوم إلا بالدعوة ، وليس مفهوم الدعوة هو فقط الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، بل بذل جميع القوى والأوقات والأموال والتضحية لإحياء نظام العبودية .

والأنبياء عليهم السلام – اشغلوا كل أوقاتهم وأحوالهم مائة فى المائة لإحياء الدين وكذلك الصحابة رضى الله عنهم وهذه الأمة كذلك لو اجتهدت مائة فى المائة يحيي الله ﷻ الدين كله فى العالم كله .

وقيام الأمة على وظيفة الدعوة تصبح أمة قيادية .. وعدم قيامها على هذه الوظيفة تصبح أمة انقيادية .. فعندما تتوقف الدعوة تسقط الأمة كما فى عهد الأمويين (١) (٢).

(١) مختصر من بيان للشيخ أحمد الأنصارى (من علماء التبليغ والدعوة بباكستان) .

(٢) حتمية دراسة تاريخ السقوط لنتعلم كيف نقوم ؟

الفهرس

م	الموضـــــــــــوع	الصفحة
١	إهـــــــــــداء	٣
٢	المقدمـــــــــة	٤
٣	الدعوة على منهاج النبوة	٦
٤	إقامـة الديـــــــــن	٥٦
٥	المعية الإلهيـــــــــة	٦٧
٦	أسباب الانحطاط والتأخـــــر	٨٩
٧	النبـوة والنيابـة والخلافـــة	١٠٩
٨	هل ننصر بدون الدعـــــوة	١١٨
٩	الدعوة طريق العـــــــودة	١٢٩
١٠	الفهـــــــــرس	١٣٠

ترقبوا صدور الجزء الثالث